

حديث الاحتجاج بين آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام، دراسة عقديّة تحليلية

علي عبد الله حسن الفواز*

ملخص

يمثل هذا البحث دراسة تحليلية لواحد من النصوص في موضوع العقيدة – المتعلقة بأفعال العباد، وهو حديث الاحتجاج بين آدم وموسى، عليهما الصلاة والسلام، تناول فيه الباحث العلاقة بين الإيمان بالقضاء والقدر وأفعال العباد من حيث صلتها بالجبر والاختيار، ومسؤولية العبد عن أعماله التي يمارسها باختياره، محاولاً الإجابة عن السؤال المطروح: هل سبق القدر بما يصدر عن العباد من أفعال خيّرهما وشرهما يصح أن يكون مبرراً لفعل الذنوب والمعاصي؟ وبالتالي التنصل من تبعة المسؤولية عنها أم لا؟ وهل كانت حجة آدم على موسى – عليهما السلام – من هذا الباب؟

الكلمات الدالة: الاحتجاج.

The Hadith on the protest between Adam and Moses "peace be upon them" An analytic and Ideological study

Ali Abdullah Hassan AL Fawaz

Abstract

This paper examines, analytically a text in the Islamic faith, which is related to the deeds of people. The text is the prophet's Hadith on the protest between Adam and Moses (PBUT).

The researcher addressed the relationship between belief in fate and people's deeds in terms of compulsion and choice, and man's responsibility for the acts of his choice; thus attempting to find an answer to the question: Is pre-determination, whether for good or evil, a justification for committing sins? Which, therefore, discharges man of any responsibility for their consequences?

Keywords: Protest.

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة مؤتة، الأردن.

تاريخ قبول البحث: 2009/2/23.

تاريخ تقديم البحث: 2009/11/3.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، المملكة الأردنية الهاشمية، 2009.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه وتبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

فهذا البحث يمثل دراسة عقدية تحليلية لحديث الاحتجاج بين آدم وموسى، عليهما الصلاة والسلام، تناولت فيها بحث العلاقة بين الإيمان بالقدر، وأفعال العباد من حيث صلتها بالجبر والاختيار، وما يترتب عليها من مسؤولية العبد عن أعماله التي يمارسها باختياره؛ إذ يعد الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره ركيزة هامة في عقيدة المسلم، التي تقوم في حقيقتها على اعتقاد الإنسان الجازم وإيمانه بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وذلك في كل ما يحصل له أو يقوم به من الأفعال خيرها وشرها.

إلا إن بعض الناس قد يتخذ الإيمان بالقدر حجة له في ترك الطاعات أو فعل الذنوب والمعاصي بحجة أنها بقدر الله تعالى وسبق بها علمه، وقد توظف بعض النصوص - كحديث الاحتجاج وغيره - توظيفاً خاطئاً في هذا السياق؛ فيتمسك بها أناس للاحتجاج بقدر الله تعالى على فعلهم المعاصي للتخلص من تبعة المسؤولية عنها، وربما وجد الباحث صدق ذلك في بعض المناقشات التي تجري بين الناس - قديماً وحديثاً - في موضوع القضاء والقدر من حيث علاقته بأفعال العباد ومسؤوليتهم الأخلاقية عنها، ولذلك جاء البحث لدراسة حديث الاحتجاج وفهمه في سياقه الذي ورد فيه من جهة، ثم إيراد المشكلة ومناقشتها في ضوء مواقف الفرق من أفعال العباد خلقاً واكتساباً من جهة أخرى، لوضع المسألة في إطارها العام وسياقها الطبيعي.

مشكلة الدراسة

حاولت الدراسة الإجابة عن التساؤلات التي يمكن أن تطرأ على ذهن عند قراءة الحديث أو سماعه للوهلة الأولى أو من غير المتخصص مثل؛ ما صحة الحديث؟ ومتى كان الاحتجاج؟ وما المراد بالكتابة والتقدير فيه؟ وهل كون أعمال العباد سبق بها قضاء الله وقدره يعد مبرراً لترك الطاعات، وفعل المعاصي والذنوب، بمعنى: هل القدر حجة للعبد فيما يفعل ويذر - من الخير والشر - باختياره؟ وهل احتجاج آدم على موسى، عليهما الصلاة والسلام، من هذا القبيل؟

وبعد الاطلاع على جهود العلماء وآرائهم في شرح الحديث وتوضيحه رأى الباحث أن الحاجة ماسة لجمع هذه الجهود ودراستها، مع ضرورة تناولها بالنقد والتحليل والمقارنة والتأليف لتكون في بحث علمي يعم نثره للاستفادة منها، مما يساعد على فهم الحديث ودراسته، سيما أنها جاءت متفرقة في بطون الكتب هنا وهناك، وبعد جمعها قام الباحث بتشخيص الخلاف في المسألة موضوع البحث وتحرير محل النزاع فيها، ومناقشة الآراء المطروحة حولها، مع التركيز على إبراز رأي أهل السنة فيها.

خطة البحث

جاءت الدراسة في مقدمة وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: مهدت فيها لموضوع البحث.

المبحث الأول: تحدثت فيه عن رواية الحديث؛ حكمه واختلاف ألفاظه.

المبحث الثاني: تناولت فيه دراسة: متى كان الاحتجاج؟ وما المراد بالكتابة والتقدير بالحديث؟

المبحث الثالث: بينت فيه آراء العلماء في بيان وجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى، عليهما السلام، ثم قمت بمناقشتها.

المبحث الرابع: ناقشت فيه مواقف الفرق من قضية الاحتجاج بالحديث، مع تحرير محل النزاع في المشكلة التي هي موضوع الدراسة.

المبحث الخامس: خصصته لمناقشة مسألة الاحتجاج بالمشيئة والقدر السابق وعلم الله الأزلي، على فعل الذنب وترك العمل.

ولخصت في الخاتمة أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

روايات الحديث واختلاف ألفاظه

المطلب الأول

رواية الحديث والحكم عليه

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن طاووس، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: "احتج آدم وموسى — عليهما السلام — فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أنلومني على أمر قتره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فقال النبي ﷺ: "فحج آدم موسى، ثلاثاً" (1).

وفي رواية أخرى لمسلم، عن الحارث بن أبي ذباب، عن يزيد بن هرمز، وعبد الرحمن الأعرج قالوا: سمعنا أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "احتج آدم وموسى — عليهما السلام — عند ربهما، فحج آدم

موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقرئك نجيا، فيكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾؟ قال: نعم، قال أفنلتوني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة، قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى⁽²⁾.

وفي رواية لأبي داود، عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم، قال: أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم، قال: فقيم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟ قال رسول الله ﷺ: عند ذلك: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى⁽³⁾.

والحديث صحيح من طريق أبي هريرة ؓ؛ أخرجه مالك⁽⁴⁾، وأحمد بروايات كثيرة⁽⁵⁾، والبخاري⁽⁶⁾، ومسلم بروايات متعددة⁽⁷⁾، وأبو داود⁽⁸⁾، وابن ماجه⁽⁹⁾، والترمذي⁽¹⁰⁾، وغيرهم⁽¹¹⁾، قال ابن قيم الجوزية: "هذا الحديث متفق على صحته، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرناً بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا على رسول الله ﷺ أنه قاله وحكموا بصحته"⁽¹²⁾، ومن رواه عن النبي ﷺ من الصحابة: أبو هريرة، وعمر بن الخطاب، في رواية عند أبي داود⁽¹³⁾، وأبو سعيد الخدري، في رواية أوردها عبد بن حميد⁽¹⁴⁾، رضي الله عنهم أجمعين، ورواه عن أبي هريرة من التابعين: طاووس، وعبد الرحمن الأعرج، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وحميد بن عبد الرحمن، ومحمد بن سيرين، والشعبي، وهمام بن منبه، وعمار بن أبي عمار، ويزيد وهو ابن هرمز، وأبو صالح وهو ذكوان السمان، قال الحافظ ابن حجر "وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة ؓ"⁽¹⁵⁾، وقال ابن عبد البر: "وهذا حديث صحيح ثابت من جهة الإسناد، لا يختلفون في ثبوته، رواه عن النبي ﷺ من رواية الثقات الأئمة الأئيات"⁽¹⁶⁾.

المطلب الثاني

اختلاف ألفاظ الحديث

يمكن للدارس تقسيم الحديث لغايات حصر تنوع العبارة، واختلاف الألفاظ الواردة في رواياته إلى الجوانب الآتية:

أولاً: نجد في بداية الحديث قوله ﷺ: "احتج آدم وموسى، عليهما السلام"، وفي رواية لمسلم: "احتج آدم وموسى — عليهما السلام — عند ربهما، فحج آدم موسى"، وفي رواية: "تجاج آدم وموسى، فحج آدم موسى"، وفي رواية: "حاج موسى آدم"، وفي رواية: "التقى آدم وموسى"، وفي رواية: "لقي آدم موسى"، وفي رواية: "اختصم آدم وموسى، عليهما السلام، فخصم آدم موسى" (17).

ثانياً: وفي سؤال موسى لآدم — عليهما السلام — نجد في بعض روايات الحديث؛ قوله ﷺ: "فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟"، وفي رواية: "فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟"، وفي رواية: "فقال موسى لآدم: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة؟"، وفي رواية: "فقال له موسى: أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟"، وفي رواية: "فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة؟"، وفي رواية: "فقال موسى لآدم: يا آدم أنت الذي أدخلت ذريتك النار؟"، وفي رواية: "فقال له موسى يا آدم: أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟"، وفي رواية: "فقال له موسى يا آدم: أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة بذنبك؟"، وفي رواية: "قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟"، وفي رواية قريبة منها: "فقال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة؟"، وفي رواية: "فقال: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، ثم صنعت ما صنعت؟"، وفي رواية: "إن موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة؟ فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟".

ثالثاً: وفي جواب آدم لموسى — عليهما الصلاة والسلام — نجد نوعين من الروايات:

1. روايات مطلقة لم تقيد بزمان محدد: منها؛ "فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قنر عليّ قبل أن أخلق؟"، وفي رواية: "قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قنره عليّ قبل أن يخلقني؟"، وفي رواية: "فقال آدم: أنت الذي أعطاه الله علم كل شيء، واصطفاه على الناس برسالاته؟ قال: نعم، قال: فتلومني على أمر قنر عليّ قبل أن أخلق؟"، وفي رواية: "فقال آدم: أنت موسى الذي

اصطفاك الله بكلامه، أتلومني على عمل عملته كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السماوات والأرض؟" وفي رواية: "قال له آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسائله واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتها كتب عليّ قبل أن يخلقني؟ قال: نعم"، وفي رواية: "قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم، قال: ألما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم، قال: فبم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟".

2. روايات قيدت بزمن محدد: منها؛ "فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله برسائله وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاما، قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [121: طه]، قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟"، وفي رواية: "قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قتره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟"، وفي رواية: "فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده، تلومني على أمر قتره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟"، وسأناقش المراد بالكتابة والتقدير - إن شاء الله تعالى - في المطلب الثاني من المبحث الثاني.

رابعا: وفي خاتمة الحديث، قال رسول الله ﷺ: "فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، ثلاثا"، وفي رواية: "قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى، مرتين"، وفي أغلب الروايات: "فحج آدم موسى"، وفي رواية لأحمد: "فحجه آدم".

المطلب الثالث

مشكل الحديث

احتج بمعنى: تحاج وتتأخر، والاحتجاج: التزاع الحجة لغلبة الخصم، وذلك بذكر كل من المتناظرين حجته، والعندية في قوله ﷺ: "احتج آدم وموسى عند ربهما"، هي عندية اختصاص وتشريف⁽¹⁸⁾، أو عندية مكانة لا عندية مكان، لأن المكان على الله - سبحانه - محال⁽¹⁹⁾.

وقوله في الحديث: "خطيتك"، وفي رواية: "بذنبك"، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [121، 122: طه]، وقال تعالى: ﴿وَوَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [115: طه]، وهذا إشارة إلى أكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [35: البقرة]، وفيه نسبة الذنب إلى نبي الله آدم، عليه السلام، والحقيقة أن هذا كان منه قبل النبوة، وكان عن نسيان، لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [115: طه]، فلم

يكن ذنباً؛ لأنه كان ناسياً، أو لعله كان زلة وسهواً⁽²⁰⁾، ثم تاب الله عليه بعد ذلك واجتباها، قال تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [37: البقرة]، ولا يغيب عن البال أن الحديث عن آدم — عليه السلام — هو حديث عن الخصائص والاستعدادات والغرائر التي هيأها الله تعالى لهذا الإنسان وخصه بها عن غيره، أرضية كانت أم علوية، ولا عجب إذن أن نجد آدم ينسى بعد أن يعهد الله إليه، وأن يخور عزمه فيفتقر عما عهد الله إليه، ليتعلم هذا الإنسان كيف يعالج الخطأ إن حصل بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، مع التأكيد دائماً على عصمة الأنبياء ونزاهتهم وعدم تجويز الذنوب والمعاصي عليهم؛ لأن ذلك يقدح في نبوتهم، والجمهور على وجوب عصمتهم عما ينافي مقتضى المعجزة؛ كالكذب والكفر وارتكاب الكبائر والصغائر المنفرة، إذ لو صدر عنهم الذنب لما جاز إتيانهم والاقتداء بهم، فنفوت عندئذ الغاية من البعثة⁽²¹⁾.

وأما قوله في الحديث: "أغويت الناس"، وفي رواية: "أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة"، وفي رواية: "أدخلت ذريتك النار"، وفي رواية: "خيبتنا"، أي كنت سبباً في ذلك، والغني: هو الانهماك في الشر، والمعنى: كنت سبباً لغواية من غوى منهم، وهو سبب بعيد؛ إذ لو لم يقع الأكل من الشجرة لما وقع الإخراج من الجنة، ولو لم يقع الإخراج لما تسلط عليهم الشيطان والشهوات المسبب عنهما الإغواء⁽²²⁾، وكذلك القول في: "أشقيت"، وأخرجت، وأدخلت، كالقول في "أغويت"، وأما قوله: "خيبتنا"، أي أوقعنا في الخيبة، وهي الحرمان والخسران، قال النووي: "ومعناه كنت سبباً في خيبتنا وإغوائنا بالخطيئة التي ترتب عليها إخراجك من الجنة، ثم تعرضنا نحن لإغواء الشياطين"⁽²³⁾، قال ابن بطلال⁽²⁴⁾: "وليس في قوله: 'أنت آدم خيبتنا وأخرجتنا من الجنة'، أكثر من إضافة التخييب والإخراج إليه، وإضافة ذلك إليه لا يقتضي كونه خالفاً لهما؛ إذ يصح في اللغة إضافة الفعل إلى من يقع منه على سبيل الاكتساب، وإذا احتملت إضافة التخييب والإخراج الوجهين جميعاً لم يقض بظاهره على أحد الاحتمالين دون الآخر إلا بدليل قاطع"⁽²⁵⁾.

وقوله في الحديث: "خلقك الله بيده"، وسيأتي قول آدم لموسى، عليهما الصلاة والسلام: "وخط لك التوراة بيده"، وهذا من المتشابهات التي لا يجوز حملها على ظاهرها في حق الله تعالى، لئلا يتوهم التجسيم في حقه تعالى، قال النووي: "أعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين؛ أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، ولا يتعرض لتأويلها مع أن ظاهرها غير مراد، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته، مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثل شيء، وأنه منزّه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة، وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم، وهو أسلم، والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين؛ أنها تأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله، بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذا رياضة في

العلم»⁽²⁶⁾، وقال القاضي عياض: "قوله في الحديث: "أنت الذي خلقك الله بيده"، وقوله أيضاً: "وخط لك بيده"، اختلف أئمتنا فيما ورد من ذكر اليد وشبه ذلك، مما لا يليق ظاهره بالله تعالى؛ فكثير من السلف يرى إمرارها بتنزيه الله تعالى على ظاهرها وترك تأويلها، وذهب أبو الحسن الأشعري - في طائفة من أصحابه - إلى أنها صفات سمعية لم نعلمها إلا من جهة الشرع، نثبتها صفات ولا نعلم حقيقتها وشرحها، وذهب غير واحد إلى تأويلها على مقتضى اللغة، فيحمل اليد بمعنى القدرة أو النعمة»⁽²⁷⁾، وإضافة خلق آدم إلى يده إضافة تشريف، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [75: ص]، أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له.

وقوله: "ونفخ فيك من روحه"، أي: خلق فيك الروح، والإضافة إضافة خلق وتشريف⁽²⁸⁾، وأما قوله: "وأسجد لك ملائكته"، فإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [71-73: ص]، وهذا السجود طاعة لله عز وجل، لأنه امتثال لأمره تعالى، ومن جهة أخرى فيه تكريم وتشريف لآدم - عليه السلام - بإسجاد الملائكة له تحية وسلاماً، فهو لآدم سجود تكريم، وليس سجود عبادة، والله تعالى أعلم.

وقوله في آخر الحديث: "فحج آدم موسى"، عليهما الصلاة والسلام، برفع آدم على الفاعلية في جميع كتب الحديث باتفاق الناقليين والرواة والشراح، أي: غلبه بالحجة وظهر عليه بها⁽²⁹⁾، قال ابن حجر: "وشد بعض الناس فقرأه بالنصب على أنه المفعول وموسى في محل رفع على أنه الفاعل، نقله الحافظ أبو بكر بن الخصايب⁽³⁰⁾ عن مسعود بن ناصر السجزي الحافظ⁽³¹⁾، قال: سمعته يقرأ "فحج آدم" بالنصب، قال: وكان قديراً⁽³²⁾؛ وذلك لأن مذهب القدرية⁽³³⁾ نسبة الفعل إلى العبد، وهو ظاهر كلام موسى، عليه السلام، مما يعني ترجيح ما ذهبوا إليه، وهو - لا شك - توجيه باطل باتفاق الرواة والشراح، ورواية أحمد من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: "فحجه آدم"، تقطع الإشكال، فإن رواته أئمة حفاظ، والزهري من كبار الفقهاء والحفاظ⁽³⁴⁾.

المبحث الثاني

مسائل الحديث المتعلقة بموضوع الدراسة

يناقش هذا المبحث في مطلبين منفصلين؛ متى كان الاحتجاج؟ وما المراد بالكتابة والتقدير في الحديث؟ وهما من المسائل الهامة المتصلة بموضوع الدراسة والتي يمكن أن تستوقف الدارس عند قراءة الحديث.

المطلب الأول

متى كان الاحتجاج

اختلف العلماء في ذلك إلى آراء:

الرأي الأول: يحتمل أن يكون ذلك اللقاء حدث في حياة موسى، عليه السلام؛ إذ سأل الله أن يريه آدم فحاجه⁽³⁵⁾، وظاهر رواية أبي داود، عن عمر^{رضي الله عنه} يؤيد هذا؛ كما جاء في الحديث: "إن موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم... الحديث"⁽³⁶⁾، وذلك؛

1- إما أن يكون بأشخاصهما على ظاهره، ويكون قد أحيا الله له آدم معجزة له، فكلمه أو كشف له عن قبره فتحدثا⁽³⁷⁾، مال إليه القاضي عياض، حيث قال: "ويحتمل أنه على ظاهره، وأنهما اجتمعا بأشخاصهما، وقد جاء في حديث الإسراء⁽³⁸⁾ أن النبي ﷺ اجتمع بالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - في السموات وفي بيت المقدس، وصلى بهم، قال: "ولا يبعد أن الله تعالى أحياهم كما جاء في الشهاد"⁽³⁹⁾.

2- وإما أن يكون الالتقاء روحياً؛ بمعنى: أرى الله - تعالى - موسى روح آدم، عليهما الصلاة والسلام؛ كما أرى النبي ﷺ ليلة المعراج أرواح الأنبياء، أو أراه الله له في المنام؛ ورؤيا الأنبياء وحي - ولو كان يقع في بعضها ما يقبل التعبير - كما في قصة الذبيح⁽⁴⁰⁾.

ولعل الخلاف بين التفسيرين عند أصحاب هذا الرأي، نابع من الخلاف في تفسير عبارة الحديث؛ هل الرؤية التي طلبها موسى - عليه الصلاة والسلام - حصلت له على الحقيقة؟ فيكون الالتقاء بأشخاصهما على ظاهره، أم أنها حصلت له في المنام أو أراه الله تعالى أرواح الأنبياء؟ فيكون الالتقاء روحياً، قال بكل مجموعة من العلماء، ولا قاطع بأحد التفسيرين، والله أعلم.

الرأي الثاني: أن ذلك اللقاء حدث في عالم البرزخ بعد وفاة موسى - عليه السلام - وذلك باللقاء أرواحهما في السماء؛ فوق الحاج بينهما، قال ابن بطال: "نقلت أرواحهما في السماء، فوق هذا الحاج بينهما"⁽⁴¹⁾، وقال به أبو الحسن القابسي⁽⁴²⁾، وابن عبد البر، حيث قال: "لأن روحه لم تجتمع بروح موسى ولم يلتقيا - والله أعلم - إلا بعد الوفاة، وبعد رفع أرواحهما في عليين"⁽⁴³⁾، والتوربشتي⁽⁴⁴⁾، حيث قال: "هذه المحاجة إنما وقعت في العالم العلوي عند ملتقى الأرواح ولم تقع في عالم الأسباب"⁽⁴⁵⁾.

الرأي الثالث: ذكر البعض احتمال أن يكون المراد شرح حال بضرب مثل، بمعنى لو اجتمعا لقالا ذلك، قال ابن الجوزي: "ومن الجائز اجتماع الأرواح، ومن الجائز خصوصتهما في القيامة بعد الحشر، ومن الجائز أن يكون المراد شرح حال بضرب مثل، أي لو اجتمعا لقالا ذلك، ويكون تخصيص موسى

بالذكر دون غيره من الأنبياء؛ لأنه أول نبي جاء بالتكاليف الشديدة - ولكنه استترك وضعف هذا الاحتمال بقوله - وهذا وإن احتمل فالأول أولى لكونه حقيقة والله ورسوله أعلم بالمراد⁽⁴⁶⁾.

الرأي الرابع: أن ذلك لم يقع بعد، وإنما يقع في الآخرة؛ وجاء التعبير عنه في الحديث بلفظ الماضي لتحقق وقوعه⁽⁴⁷⁾، قلت: لعل أصحاب هذا الرأي استندوا إلى ما ورد في بعض روايات الحديث، من طريق مسلم، وفيها: "احتج آدم وموسى - عليهما السلام - عند ربهما"، أو بما وقع عند البخاري في ترجمة الباب: "تحتاج آدم وموسى عند الله"، قال ابن حجر: "ولفظ قوله "عند الله" فزعم بعض شيوخنا أنه - أي البخاري - أراد أن ذلك يقع منهما يوم القيامة"⁽⁴⁸⁾.

إلا أن ابن حجر ضعف هذا الرأي ورده⁽⁴⁹⁾:

أ. بما وقع في بعض طرق الحديث، وذلك فيما أخرجه أبو داود من حديث عمر، قال: "قال موسى يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا... الحديث"⁽⁵⁰⁾، قال: وظاهره أنه وقع في الدنيا.

ب. وكذلك قول البخاري: "عند الله" في الترجمة، ليس صريحاً في أن ذلك يقع يوم القيامة؛ لأن "العندية" عندية اختصاص وتشريف لا عندية مكان، فيحتمل وقوع ذلك في كل من الدارين، وقد وردت العندية في القيامة، بقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [55: القمر]، وفي الدنيا، بقوله ﷺ: "إني أظن عند ربي يطعمني ويسقيني"⁽⁵¹⁾.

ج. قال الحافظ ابن حجر: والذي ظهر لي أن البخاري لمح في الترجمة بما وقع في بعض طرق الحديث، وهو ما أخرجه الإمام أحمد من طريق يزيد بن هرمز عن أبي هريرة ؓ بلفظ: "احتج آدم وموسى عند ربهما"، كما سبقت الإشارة إليه⁽⁵²⁾.

ولم أر أحداً من العلماء الذين وقفت على آرائهم قد جزم بشيء من هذه الآراء، بل كانوا يصنّون أقوالهم بصيغة الاحتمال، والحق - كما قال ابن الجوزي -: "أن هذا مما يجب الإيمان به لثبوته بخبر الصادق، وإن لم نطلع على كفيته. وليس هذا بأول خبر يجب علينا الإيمان به وإن لم نقف على حقيقة معناه، كعذاب القبر ونعيمه، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات للإحساس لم يبق إلا التسليم"⁽⁵³⁾، وقال ابن عبد البر: "وإن كان ذلك عندي لا يحتمل تكيفاً، وإنما يجب فيه التسليم ولا يوقف فيه على التحقيق؛ لأننا لم نوث من جنس هذا العلم إلا قليلاً"⁽⁵⁴⁾.

المطلب الثاني

المراد بالكتابة والتقدير في الحديث

يقف الباحث في الحديث، أمام نوعين من رواياته كما أشرت سابقاً:

أولاً: روايات مقيدة بأربعين سنة، ومنها ما جاء في رواية البخاري عن عمرو عن طاووس: "أتلومني على أمرٍ قُدِّرَه الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة"⁽⁵⁵⁾، وفي رواية مسلم: "كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة"⁽⁵⁶⁾.

ثانياً: روايات مطلقة لم تذكر مدة أربعين سنة؛ ومنها ما جاء في رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة: "أتلومني على أمرٍ كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو قُدِّرَه عليّ قبل أن يخلقني؟"، ولم يذكر المدة⁽⁵⁷⁾، وفي حديث عمر رضي الله عنه قال: "فقيم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي"⁽⁵⁸⁾، ووقع في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أتلومني على عمل عملته كتبه الله عليّ قبل أن يخلق السموات والأرض"⁽⁵⁹⁾.

قال ابن حجر: "والجمع بينه وبين الرواية المقيدة بأربعين سنة، حملها على ما يتعلق بالكتابة، وحمل الأخرى على ما يتعلق بالعلم"⁽⁶⁰⁾، أي: علم الله الأزلي بكل ما هو كائن إلى يوم الدين، قال ابن الجوزي: "المعلومات كلها قد أحاط بها علم الله القديم قبل وجود المخلوقات كلها، ولكن كتابتها وقعت في أوقات متفاوتة، وقد ثبت في الصحيح — يعني صحيح مسلم — : "أن الله قُدِّرَ المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"⁽⁶¹⁾، فيجوز أن تكون قصة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بأربعين سنة، ويجوز أن يكون ذلك القدر مدة لبثه طيناً إلى أن نفخت فيه الروح؛ فقد ثبت في صحيح مسلم أن بين تصويره طيناً ونفخ الروح فيه كان مدة أربعين سنة، ولا يخالف ذلك كتابة المقادير عموماً قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"⁽⁶²⁾.

واتفق العلماء على أنه ليس المراد بالكتابة والتقدير هنا، حقيقة القدر وأصله، وسابق علمه وإرادته؛ لأن علم الله تعالى أزلي، وما قُدِّرَه على عباده وأرادَه من خلقه أزلي لا أول له، ولم يزل سبحانه مريداً لما يقع من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر⁽⁶³⁾، قال ابن القيم: "وهذا التقدير، بعد التقدير الأول السابق بخلق السموات بخمسين ألف سنة"⁽⁶⁴⁾، قال التوربشتي: "ليس معنى قوله: "كتبه الله عليّ": ألزمني به، وإنما معناه: أثبتته في أم الكتاب قبل أن يخلق آدم وحكم أن ذلك كائن"⁽⁶⁵⁾.

واختلفوا فيما وراء ذلك، قال ابن التين⁽⁶⁶⁾: "يحتمل أن يكون المراد بالأربعين سنة، ما بين قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [30: البقرة]، إلى نفخ الروح في آدم، وقال غيره: أن ابتداء المدة وقت الكتابة في الألواح وآخرها ابتداء خلق آدم"⁽⁶⁷⁾، وقال المازري⁽⁶⁸⁾: "الأظهر أن المراد أنه كتبه قبل خلق آدم

بأربعين عاماً، ويحتمل أن يكون المراد أظهره للملائكة أو فعل فعلاً ما أضاف إليه هذا التاريخ، وإلا فمشيئة الله وتقديره قديم، والأشبه أنه أراد بقوله: "قدره الله عليّ قبل أن أخلق"، أي: كتبه في التوراة⁽⁶⁹⁾؛ ويؤيد هذا ما جاء في إحدى روايات الحديث من قول آدم لموسى، عليهما السلام: "فبكم وجدت الله كتب في التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى بأربعين عاماً"⁽⁷⁰⁾، فهذه الرواية مصرحة ببيان المراد بالتقدير، ولا يجوز أن يراد به حقيقة القدر وأصله؛ لأن أربعين سنة قبل خلق آدم - عليه السلام - زمن محدود ومبتدأ، فيجب صرف هذا التاريخ إلى ما قلناه، والله أعلم.

المبحث الثالث

وجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى عليهما الصلاة والسلام

اختلف العلماء في تفسير وبيان لماذا حج آدم موسى؟ وما وجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى، عليهما الصلاة والسلام، إلى جملة آراء، نذكرها ثم نقوم بمناقشتها.

المطلب الأول

آراء العلماء في توجيه الاحتجاج

الرأي الأول: قال أصحابه: إنما حجه لأن آدم أبوه، فحجه كما يحج الرجل ابنه ولم يشرع للابن لوم أبيه⁽⁷¹⁾، قال ابن حجر: حكاه القرطبي وغيره، بمعنى: أن الذنب كان في شريعة واللوم في شريعة⁽⁷²⁾.

الرأي الثاني: قيل: إنما غلبه لأنهما في شريعتين متغايرتين⁽⁷³⁾، بمعنى: حجه لأن الذنب كان في شريعة واللوم في شريعة⁽⁷⁴⁾.

الرأي الثالث: إنما حجه لأنه لأمه في غير دار التكليف، ولو لأمه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى، عليه السلام⁽⁷⁵⁾، قال ابن حجر في توضيح هذا الرأي: "إنما توجهت الحجة لآدم؛ لأن موسى لأمه بعد أن مات واللوم إنما يتوجه على المكلف ما دام في دار التكليف، فإن الأحكام حينئذ جارية عليهم، فيلام المعاصي ويقام عليه الحد والقصاص وغير ذلك، وأما بعد أن يموت فقد ثبت النهي عن سب الأموات بقوله ﷺ: "لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا"⁽⁷⁶⁾؛ لأن مرجع أمرهم إلى الله، كما ثبت أنه لا يثني العقوبة على من أقيم عليه الحد، وإن كان كذلك فلوم موسى لآدم إنما وقع بعد انتقاله عن دار التكليف فلذلك عدل إلى الاحتجاج بالقدر السابق، وأخبر النبي بأنه غلب موسى بالحجة"⁽⁷⁷⁾.

الرأي الرابع: وهو رأي الجبرية الذين احتجوا بالقدر على تبرير الذنب وفعل المعاصي؛ قال ابن القيم: "وقالت فرقة أخرى: إنما حجه لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة، وتفرّد الرب سبحانه برؤيته وأنه لا تحرك ذرة إلا بمشيئته وعلمه، وأنه لا راد لقضائه وقدره، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،

قالوا: ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئة لأنه شهد نفسه عدما محضاً، والأحكام جارية عليه معروفة له، وهو مقهور مريبوب مذبر لا حيلة له ولا قوة له، قالوا: ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم⁽⁷⁸⁾، بمعنى: أن آدم احتج بالقدر السابق على المعصية.

الرأي الخامس: أن آدم — عليه السلام — حجه لأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي؛ إذ ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقاً على وقوع ما قدر عليه إلا بإذن من الله تعالى فيكون الشارع هو اللائم، فلما أخذ موسى في لومه من غير أن يؤذن له في ذلك عارضه بالقدر فأسكتته⁽⁷⁹⁾، قال ابن الجوزي: "ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقاً فيما قضى عليه إلا أن يأذن الشارع بلومه فيكون هو اللائم، كما قال ﷺ: "إذا زنت أمة أحكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يترّب"⁽⁸⁰⁾، فلما أخذ موسى بلومه ولم يؤذن له عارضه بالقدر فسكت⁽⁸¹⁾.

الرأي السادس: حجه لأنه كان قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه، قال ابن بطلان: "قال الليث بن سعد: وإنما صحت الحجة في هذه القصة لآدم على موسى، عليهما السلام، من أجل أن الله قد غفر لآدم خطيئته وتاب عليه فلم يكن لموسى أن يعير بخطيئة قد غفرها الله له"⁽⁸²⁾، وقال المازري: "لما تاب الله على آدم صار ذكر ما صدر منه إنما هو كالبحت عن السبب الذي دعاه إلى ذلك، فأخبر هو أن الأصل في ذلك القضاء السابق فلذلك غلب بالحجة"⁽⁸³⁾، وقد ذكر هذا الرأي كل من القاضي عياض والنووي في أحد وجهين رجحا بهما لماذا حج آدم موسى، عليهما السلام، قال النووي: "وإذا تاب الله تعالى على آدم وغفر له زال عنه اللوم، فمن لومه كان محجوجاً بالشرع"⁽⁸⁴⁾، وقال ابن حجر: "قال القرطبي: إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه فكان لومه له على ذلك نوع جفاء... ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلاً، ثم عَقِبَ عليه بقوله: وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين، وهو المعتمد"⁽⁸⁵⁾، وقال العلماء في تعليل هذا الرأي: أن الذي فعله آدم اجتمع فيه القدر والكسب، فالتوبة تمحو أثر الكسب وقد تاب الله عليه، فلم يبق إلا أثر القدر، والقدر لا يتوجه عليه لوم لأنه فعل الله ولا يسأل عما يفعل⁽⁸⁶⁾.

الرأي السابع: أن آدم احتج بالقدر على المصيبة لا المخالفة؛ قال الخطابي⁽⁸⁷⁾: "كان موضع الحجة لآدم على موسى — عليهما السلام — أن الله سبحانه إذا كان قد علم من آدم أنه يتناول من الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله سبحانه فيه وأن يبطئه بعد ذلك، وبيان هذا: أن الله أخبر بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [30:البقرة]، أنه خلقه للأرض وأنه لا يتركه في الجنة، فكان أكله من الشجرة سبباً لخروجه من الجنة إلى الأرض التي خلق لها ليكون فيها خليفة، قال: فإنما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه على هذا الوجه، ولذلك قال آدم: "أتلومني على أمر فثره الله عليّ قبل أن يخلقني"⁽⁸⁸⁾، وحاصله: أن آدم احتج بالقدر على الإخراج ولم يحتج به على أكله من الشجرة، قال الداوودي⁽⁸⁹⁾ فيما نقله ابن التين: "إنما قامت حجة آدم لأن الله خلقه

ليجعله في الأرض خليفة، فلم يحتج آدم في أكله من الشجرة بسابق العلم؛ لأنه كان عن اختيار منه، وإنما احتج بالقدر لخروجه لأنه لم يكن بد من ذلك⁽⁹⁰⁾، ومال إليه القاضي عياض، وبعد أن وضحه قال: "فهذا وجه في غلبة آدم بحجته موسى، عليهما السلام"⁽⁹¹⁾، وهو أحد التوجيهات التي وجه بها الإمام النووي حجة آدم على موسى - عليهما السلام - حيث قال: "ومعنى كلام آدم: أنك يا موسى تعلم أن هذا - يعني الإخراج - كتب عليّ قبل أن أخلق وقُدِّر عليّ فلا بد من وقوعه، ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مقال ذرة منه لم نقدر فلم تلومني على ذلك"⁽⁹²⁾، وهو رأي ابن تيمية، إذ رأى أن الحديث تضمن التسليم للقدر والاحتجاج به عند المصائب لا عند الذنوب والمعائب، وأن احتجاج آدم بالقدر كان على المصيبة التي نالت الذرية وهي الإخراج بسبب أكل آدم من الشجرة، فقال: إن المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، أي: "أتلومني على مصيبة قُدِّرَت عليّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة"⁽⁹³⁾.

الرأي الثامن: وقال به ابن القيم، إذ يرى أن الاحتجاج بالقدر يصح إذا ارتفع اللوم، أما إذا كان اللوم واقعاً فالاحتجاج بالقدر باطل، بمعنى: أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر قبل وقوع الفعل ليتوصل به إلى فعل المحرم أو بعد الوقوع تخلصاً من تبعه الفعل والمسؤولية عنه، ولا بأس بالاحتجاج به بعد وقوع الفعل لدفع اللوم فقط كمحاجة آدم وموسى، عليهما السلام⁽⁹⁴⁾، قال ابن القيم: "وقد يتوجه جواب آخر: وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع؛ فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، كما فعل آدم؛ فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينفع به الذاكر والسامع، لأنه لا يُدْفَعُ بالقدر أمراً ولا نهياً ولا يُبْطَلُ به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة يوضحه أن آدم قال لموسى: "أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوباً عليّ قبل أن أخلق؟"⁽⁹⁵⁾، فإنه لم يدفع بالقدر حقاً ولا ذكره حجة له على باطل، ولا محذور في الاحتجاج به، وأما الموضع الذي يضر: الاحتجاج به في الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلاً محرماً أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيُبْطَلُ بالاحتجاج به حقاً ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصريون على شركهم وعبادتهم غير الله، فقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [148: الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [20: الزخرف]، فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه وأنهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقرؤا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم على أن لا يعود فإذا لأمه لائم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله، ونكتة المسألة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعاً فالاحتجاج بالقدر باطل⁽⁹⁶⁾، ثم استدل عليه بقوله: "وقد أرشد النبي ﷺ إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به، فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ؓ قال، قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان⁽⁹⁷⁾، فقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد الاحتجاج به، وعدم التمسك به؛ لأن لو من عمل الشيطان الذي يقود إلى الجزع والسخط والأسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان⁽⁹⁸⁾.

المطلب الثاني

مناقشة الآراء

أما الرأي الأول: فهو توجيه ضعيف لأنه بعيد من سياق الحديث، قال ابن حجر: "منهم من عبر عنه بأن آدم أكبر منه، وتعقبه بأنه بعيد من معنى الحديث، ثم هو ليس على عمومته؛ بل يجوز للابن أن يلوم أباه في عدة مواطن⁽⁹⁹⁾، وحجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن أو العبد أو السيد، ولو حجَّ الرجل أباه بحق وجب المصير إلى الحجة⁽¹⁰⁰⁾".

وأما الرأي الثاني: فذلك باطل؛ لأنه لا تأثير له في الحجة بوجه، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسالتها المتقدمة عليها، وإن لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبل الله شهادتها عليهم، وإن كانوا من غير أهل شريعتهم⁽¹⁰¹⁾، ثم إنه دعوى لا دليل عليها؛ فمن أين نعلم أنه كان في شريعة آدم أن المخالف يحتج بسابق القدر، وفي شريعة موسى أنه لا يحتج أو أنه يتوجه له اللوم على المخالف⁽¹⁰²⁾.

وكذلك الرأي الثالث مردود؛ لأن آدم لم يقل له لم تني في غير دار التكليف، وإنما قال: "أتلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق، فلم يتطرق للدار وإنما احتج بالقدر السابق⁽¹⁰³⁾".

وأما الرأي الرابع: فهو أبطل توجيهه سلك في فهم الحديث، وهو شر من مسلك القدرية — المعتزلة — الذين ردوه إبطالا لهذا القول من باب الرد على قائله، قال ابن القيم: "لو صح لبطلت الدلائل جملة، وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبق للحدود معنى، ولا يلام جانب على جنايته ولا ظالم على ظلمه، ولا ينكر منكراً أبداً⁽¹⁰⁴⁾، ولا يجوز لأحد — في دار التكليف — أن يقول لمن لأمه على ارتكاب معصية، كما لو قتل أو زنى أو سرق؛ هذا سبق في علم الله، وقدره عليّ قبل أن يخلقني فليس لك أن تلومني عليه؛ لأن الأمة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك، بل على استحباب ذلك، كما أجمعوا على استحباب محمداً من واطب على الطاعة⁽¹⁰⁵⁾، قال الخطابي: "قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر من الله تعالى، يستلزم الجبر وقهر العبد على ما قضاه وقدره، ويتوهم أن غلبة آدم لموسى — عليهما السلام — كانت من هذا الوجه، وليس الأمر في ذلك على ما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيراًها

وشرها»⁽¹⁰⁶⁾، ونظراً لأن حديث الاحتجاج قد يوظف في الاستدلال لهذا الرأي أكثر من غيره فإنني سأفردّه بمناقشة خاصة وموسعة في المبحث الخامس، إن شاء الله تعالى.

وأما الرأي الخامس: فهذا الرأي في نظري فيه جانب من الصواب إلا أنه لا يصلح أن يكون تعليلاً قوياً للحجة التي توجهت لآدم على موسى، عليهما السلام؛ لأنه لا علاقة له بسياق الحديث، وحجة آدم - عليه السلام - لم تكن من هذا القبيل، ومع أنه ليس لأحد أن يلوم أحداً في وقوع ما قدر عليه إلا أن يأذن الشارع بلومه، ولكن هل كان موسى في لومه لآدم - عليهما السلام - جاهلاً بشرع الله تعالى؟ أستبعد ذلك لأن أنبياء الله أعرف الناس بشرع الله سبحانه وتعالى، ولقائل أن يقول: وما المانع إذا كان ذلك الله تعالى أن يباشره من تلقى عن الله من رسله ومن تلقى عن رسله ممن أمر بالتبليغ عنهم؟.

وأما الرأي السادس: لو حده فلا يصلح أن يكون تعليلاً للحجة التي توجهت لآدم على موسى، عليهما السلام، وقد رأيت مجموعة من العلماء الشراح؛ كالقاضي عياض والإمام النووي وابن الجوزي قد جعلوه مع الرأيين الخامس والسابع، ليعتلوا بهذه الآراء وجه الحجة التي حج بها آدم موسى، عليهما السلام، وأما ابن حجر فقد ضم إليها الرأي الثالث، وقال عنه ابن القيم: "وهذا وإن كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة وجوه؛ أحدها: أن آدم لم يذكر ذلك الوجه ولا جعله حجة على موسى، ولم يقل أتلومني على ذنب قد تبنت منه. الثاني: أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتنباه بعده، فإن هذا لا يجوز لأحد الناس المؤمنين أن يفعله فضلاً عن كليم الرحمن. الثالث: أن هذا يستلزم إلغاء ما علّق به النبي ﷺ وجه الحجة واعتبار ما ألغاه، فلا يلتفت إليه"⁽¹⁰⁷⁾، واختار ابن تيمية الرأي السابع في توجيه الحديث، في حين اختار ابن القيم الرأيين السابع والثامن معاً، وهنا يستطيع الباحث أن يميز اتجاهين عند أهل السنة⁽¹⁰⁸⁾ في توجيه الحديث:

الاتجاه الأول: وسلك أصحابه طريق التعميم في توجيه الحديث؛ وهو تجويز الاحتجاج بالقدر في المصائب دون المعائب، أي فيما لا يملك الإنسان معه قدرة على دفعه، وهذا الاتجاه نجده واضحاً عند ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، وقال به من العلماء؛ الخطابي والداوودي والقاضي عياض، كما سبق توضيحه في الرأي السابع، قال ابن القيم: "إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة، ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيهاً على سبب المصيبة والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له: "أخرجتنا ونفسك من الجنة"، وفي رواية: "خببتا"، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي، كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قدرت عليّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة؟"⁽¹⁰⁹⁾.

وأما الاتجاه الثاني: — وقد رأيته عند شرح الحديث — فيميل أصحابه إلى تخصيص مضمون الحديث في قصة وروده، بمعنى: أن هذا الاحتجاج خاص لآدم — عليه السلام — في هذه المناظرة؛ قال ابن حجر: "إنما حكم النبي ﷺ لآدم بالحجة في معنى خاص، وذلك لأنه لو كانت في المعنى العام لما تقدم من الله تعالى لومه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ يَلْكُمَا الشَّجَرَةَ﴾ [22: الأعراف]، ولا وأخذه بذلك حتى أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض" (110)، قال أصحاب هذا الاتجاه: إنما حج آدم موسى؛

1. لأنه قد تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه (111)، قال ابن عبد البر: "وهذا عندي مخصوص به آدم — عليه السلام — لأن المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعاً، كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [37: البقرة]، فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة، لأنه كان قد تيب عليه من ذلك الذنب" (112)، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلاً، واعتمده ابن حجر (113)، وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين، قال: "لما تاب الله على آدم صار ذكر ما صدر منه إنما هو كالبحت عن السبب الذي دعاه إلى ذلك، فأخبر هو أن الأصل في ذلك القضاء السابق فلذلك غلبه بالحجة" (114).
2. ولأنه لومه في غير دار التكليف، قال الحافظ ابن حجر: "إنما توجهت الحجة لآدم، لأن موسى لومه بعد أن مات، واللوم إنما يتوجه على المكلف ما دام في دار التكليف؛ فإن الأحكام حينئذ جارية عليهم، فيلام العاصي ويقام عليه الحد والقصاص وغير ذلك، وأما بعد أن يموت فقد ثبت النهي عن سب الأموات، لقوله ﷺ: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا" (115)، لأن مرجع أمرهم إلى الله، وقد ثبت أنه لا يثني العقوبة على من أقيم عليه الحد، بل ورد النهي عن التشريب على الأمة إذا زنت وأقيم عليها الحد، قال أصحاب هذا الرأي: وإذا كان كذلك، فلموم موسى لآدم إنما وقع بعد انتقاله عن دار التكليف، وثبت أن الله تاب عليه فسقط عنه اللوم، فلذلك عدل إلى الاحتجاج بالقدر السابق، وأخبر النبي ﷺ بأنه غلب موسى بالحجة" (116).

ولا تنافي في الاتجاه الثاني — على رأي أهل السنة — بين التعليلين؛ لأنه يمكن أن يمتزج منهما جواب واحد، وهو: أن التائب من الذنب لا يلام على ما تيب عليه منه، سيما إذا انتقل إلى دار التكليف، وقد سلك النووي هذا المسلك، حيث قال: "ومعنى كلام آدم: أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب عليّ قبل أن أخلق وقدّر عليّ فلا بد من وقوعه، ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مقال ذرة منه لم نقدر، فلم تلومني على ذلك، ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي، وإذا تاب الله تعالى على آدم وغفر له زال عنه اللوم، فمن لومه كان محجوجاً بالشرع" (117).

اختيار الباحث

وأميل إلى اختيار الاتجاه الأول من رأي أهل السنة، مع وجهة الاتجاه الثاني؛ لأن محصل لوم موسى لآدم - عليهما السلام - لم يكن على المعصية وإنما كان على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيه على سبب المصيبة التي نالت الذرية، فكأنه قال: أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على الأكل من الشجرة، والذي رتب ذلك قتره عليّ قبل أن أخلق فكيف تلومني، ويؤيد هذا: قول موسى لآدم - عليهما السلام - في رواية: "أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة"، وفي رواية: "أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة"، وفي رواية: "أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة"، وفي رواية: "أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض" (118)، ولأن آدم - عليه السلام - كان قد تاب من فعله وقبل الله توبته، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وموسى أعرف بالله تعالى وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباه ربه بعده وهده واصطفاه، وكذلك آدم - عليه السلام - أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته، وكلاهما أعلم بالله تعالى من أن يحتج أحدهما على الذنب بالقدر ويقبله الآخر (119).

ومع ذلك لا يجوز للعاصي منا اليوم أن يحتج بمثل حجة آدم - عليه السلام - فيقول: هذه المعصية أو تلك قُدرت عليّ قبل أن أخلق، فينبغي أن يسقط عني اللوم؛ لأن هذا العاصي باقٍ في دار التكليف والأحكام جارية عليه من العقوبة واللوم، وفي ذلك زجر وعظة له ولغيره، والأمة مجمعة على جواز حمد المحسن على إحسانه، ولوم المسيء على إساءته، وأما آدم - عليه السلام - فخارج عن دار التكليف، ولم يكن للومه فائدة، فكانت الغلبة له، قال ابن عبد البر: "وهذا غير جائز أن يقوله اليوم أحد إذا أتى ما نهاه الله عنه، ويحتج بمثل هذا، فيقول: أتلومني على أن قتلته أو زنيته أو سرقت، وذلك قد سبق في علم الله وقتره عليّ قبل أن أخلق؟ هذا ما لا يسوغ لأحد أن يقوله، وقد اجتمعت الأمة أن من أتى ما يستحق الذم عليه فلا بأس بزمه ولا حرج في لومه، ومن أتى ما يحمد له فلا بأس بمدحه عليه وحمده" (120).

المبحث الرابع

مواقف الفرق من مسألة الاحتجاج بالقدر في الحديث

ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث أن آدم حج موسى، عليهما الصلاة والسلام، وقد يظن بعض الناس - من ظاهر الحديث - أن كون المعصية سبق بها قضاء الله وقدره، يمنع من اللوم والمؤاخذه عليهما، ويبعث على التتصل من المسؤولية عنها، مستدلين بقول آدم لموسى، عليهما الصلاة والسلام: "أتلومني على أمر قتره الله عليّ قبل أن يخلقني؟" (121)، فيتخذ العصاة ذلك وسيلة للاحتجاج على فعلهم المعاصي، في حين

احتج المعتزلة⁽¹²²⁾ القائلون بالقدر بمثل قول موسى لأدم، لإبطال القدر السابق، ومن هنا اختلفت مواقف الفرق من هذا الحديث، تبعاً لاختلاف مذاهبها في مسألة أفعال العباد، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول

الجبرية

والجبرية⁽¹²³⁾ هم الذين أثبتوا القدرة لله تعالى، ونفوها عن العبد أصلاً؛ إذ ليس للإنسان في نظرهم قدرة، ولا إرادة، ولا اختيار، بل هو مجبرٌ على أفعاله، يخلق الله فيه الأفعال كما يخلقها في الحيوان والجماد، ونسبها إلى الإنسان على سبيل المجاز، كما تنسب إلى الجماد والنبات، فيقال: تغذى النبات وتحرك الحجر، ودارت الرحي وزالت الشمس... الخ، وبناءً على هذا قالوا: الثواب والعقاب جبر والتكليف جبر⁽¹²⁴⁾، فهؤلاء تمسكوا بالحديث محتجين بقول آدم لموسى، عليهما الصلاة والسلام: "أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن أخلق؟"؛ إذ سياق كلامه يؤول إلى الجبر، فاتخذوه دليلاً لمذهبهم في إبطال الثواب والعقاب، والتخلل من قيود الشرع، وأصبحوا فيما بعد أصلاً لفرق من الناس، احتج بالقدر على ترك الطاعات وفعل المعاصي والذنوب، والتوصل من تبعة المسؤولية عنها، لكونها من قضاء الله وقدره وسبق بها علمه، قال ابن بطلان: "واحتجت طائفة من القدرية المجبرة بهذا الحديث؛ فقالت: إن كان صحيحاً قول آدم لموسى: "أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن أخلق"، فلا لوم على كافر في كفره، ولا فاسق في فسقه، ولا يجوز أن يعذبهم الله على ما اضطروهم إليه"⁽¹²⁵⁾.

المطلب الثاني

المعتزلة

وهم الذين أسندوا أفعال العباد إلى قدرتهم، وأنكروا القدر فيها⁽¹²⁶⁾، فقالوا: ليس لله تعالى في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير، لا بإيجاد ولا بنفي، بل الإنسان فاعل حر مختار فيما يفعل ويذر، يعمل بالقدر الحادثة التي منحتها إياه العناية الإلهية، ويتصرف بها ويوجهها حسبما يريد⁽¹²⁷⁾، وهؤلاء؛ منهم من احتج بقول موسى لأدم — عليهما السلام —: "خببتنا، وأخرجتنا من الجنة"، من حيث أنه نسب التخييب والإخراج إليه؛ إذ سياق كلامه يؤول إلى القدر، قالوا: وهذا يدل على أن العباد يخلقون أفعالهم طاعتها ومعصيتها، ولو كانت خلقاً لله لم يصح أن يأمرهم ولا ينهاهم⁽¹²⁸⁾، وأغلبهم رد الحديث وأنكره وحكم بعدم صحته؛ لأنه — على رأيهم — صريح في إثبات القدر السابق، ونقير النبي لأدم على الاحتجاج به، وشهادته بأنه غلب موسى، عليهما الصلاة والسلام.

ومذهب المعتزلة: إبطال القدر السابق في أفعال العباد، لأن القول بنسبة أفعال العباد إلى قدرة الله تعالى يؤدي - في نظرهم - إلى مجموعة من اللوازم الباطلة⁽¹²⁹⁾، لخصتها بما يلي:

1- نسبة الشر إلى الإرادة الإلهية؛ وهذا بنوه على قولهم بالتلازم بين أمر الله تعالى وإرادته؛ فهو يريد الخير ويأمر به، ولا يريد الشر ولا يأمر به.

2- بطلان التكليف الشرعي؛ لأن التكليف طلب، والطلب مع عدم القدرة وسلب الاختيار، تكليف بما لا يطاق.

3- بطلان الثواب والعقاب، بمعنى: إذا لم يكن العبد مستقلاً في إيجاد فعله، فلا يجوز أن يتوجه إليه مدح ولا ذم.

4- وهذا كله - في نظرهم - لا يقي لبعثة الأنبياء فائدة؛ إذ البعثة دعوة، والدعوة لا بد أن تسبقها الحرية والاختيار.

قال ابن قيم الجوزية: "وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة، كابن علي الجبائي ومن وافقه على ذلك، وقال: لو صح لبطلت نبوات الأنبياء؛ فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي، فإن العاصي بترك الأمر أو فعل النهي إذا صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه"⁽¹³⁰⁾، ويوضح ابن حجر موقف المعتزلة في رد الحديث بقوله: "وقد أنكر القدرية هذا الحديث لأنه صريح في إثبات القدر السابق، ونقرير النبي ﷺ لأنهم على الاحتجاج به وشهادته بأنه غلب موسى، فقالوا: لا يصح لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه، وقد قتل هو نفساً لم يؤمر بقتلها، ثم قال: رب اغفر لي فغفر له، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له؟ ثانيها: لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذي فرغ من كتابته على العبد لا يصح هذا، لكان من عوئب على معصية قد ارتكبها فيحتج بالقدر السابق، ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود، واحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش، وهذا يفضي إلى لوازم قطعية، فنل ذلك على أن هذا الحديث لا أصل له"⁽¹³¹⁾.

المطلب الثالث

أهل السنة

والحديث عندهم صحيح - كما سبق بيانه - إلا أنهم لم يتخذوه وسيلة لتبرير الشر وفعل المعاصي، ولم يفهموه على أنه كذلك كما فعل الجبرية، بل وجهوه توجيهاً ينسجم مع أصولهم في عقيدة القضاء والقدر، كما سيظهر لنا في مناقشتنا لهذه المواقف بعد قليل، قال ابن عبد البر: "هذا الحديث أصل جسيم

لأهل الحق في إثبات القدر، وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قُدر له بما سبق في علم الله تبارك اسمه⁽¹³²⁾، وقال ابن حجر: "وفيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر، وخلق أفعال العباد"⁽¹³³⁾.

ومع ذلك أنكر الصحابة — رضوان الله عليهم — أشد الإنكار بدعة الاحتجاج بالقدر على المعصية، ونقموا على أصحابها، ومن قال بها، وكانوا يوصون إلى أخلاقهم ألا يسلموا عليهم، وأن لا يعودوهم إن مرضوا ولا يصلوا عليهم إذا ماتوا⁽¹³⁴⁾؛ لأنهم كانوا يرون أن: "من أصول الدين — كما يقول الملطي — وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره"⁽¹³⁵⁾، وأجمعوا على أن: "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن"⁽¹³⁶⁾، حتى اكتسب هذا القول الحكم القطعي بسبب اقتران مضمونة بلجماع العلماء⁽¹³⁷⁾، قال ابن حجر: "بل مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالى ومشيئته"⁽¹³⁸⁾.

المطلب الرابع

مناقشة وتعقيب

في الحقيقة لا نرى في قول موسى — عليه السلام — دليلاً لما ذهب إليه المعتزلة أن العبد يخلق فعله؛ لأن إضافة التخييب والإخراج إلى آدم لا يقتضي كونه خالفاً لهما؛ إذ يصح في اللغة إضافة الفعل إلى من يقع منه على سبيل الخلق، وإلى من يقع منه على سبيل الاكتساب، وإذا احتملت الإضافة كلا منهما، فلا يصر إلى ترجيح أحد الاحتمالين إلا بدليل قاطع، وقد قام الدليل الواضح على استحالة اختراع العبد لأفعاله دون إقدار الله تعالى له على ذلك، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [62: الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [96: الصافات]، وقد ثبت أنه تعالى قادر على جميع أجناس الحركات التي يحدثها العباد بدلالة أنه أقدرهم عليها، وما أقدرهم عليه فهو عليه أقدر، كما أنه ما أعلمهم إياه فهو به أعلم، فثبت أن الله تعالى خالق لأفعال العبد مكتسب لها، كما نقول: إن الله منفرد بخلق الولد، والوالد منفرد بكون الولد له، لا شراكة فيه لغيره، ونسبة الأفعال إلى الله تعالى من جهة خلقه لها، ونسبتها إلى العباد من جهة اكتسابهم لها⁽¹³⁹⁾، ولو فهم المعتزلة الاحتجاج في الحديث على أنه احتجاج على الإخراج من الجنة الذي هو من فعل الله تعالى، وخارج عن دائرة التكليف، لما لجأوا إلى رده أو الاستدلال به على طريقتهم.

والذي أراه أن القائلين بمذهب حرية الإرادة والاختيار — وهم المعتزلة — قد بنوا مذهبهم على أصلين اثنين؛ الأول: وجعلوا فيه المشيئة والإرادة بمعنى المحبة والرضا؛ بمعنى: أن كل ما شاءه الله تعالى وقضاه بإرادته فقد أحبه ورضيه⁽¹⁴⁰⁾، وأما الأصل الثاني: فقد جعلوا فيه الإرادة موافقة للأمر في الإطلاق؛ وبناءً عليه، قالوا: ما أمر الله به فقد أراده، وما نهى عنه فقد كرهه⁽¹⁴¹⁾.

وانطلاقاً من مذهبهم هذا: فقد رأوا أن ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به يقع بمشيئته وإرادته، وما لم يحبه ولم يرضه فليس بإرادته، ولا يقع تحت مشيئته، ولا هو بأمره⁽¹⁴²⁾؛ لأن الإرادة والمشيئة - على أصولهم - ترادفان الأمر وتستلزمان الرضا والمحبة، والقضاء يستوجب الرضا بكل مقضي⁽¹⁴³⁾.

ومع أنهم قالوا: بوجوب الرضا بالقضاء والقدر، لكنهم أنكروا أن يكون قضاء الله تعالى شاملاً لأفعال العباد خيراً وشرها؛ لئلا يلزمهم الرضا بالكفر والفسوق والعصيان، وقالوا: ما كان من خير فهو بقضاء الله تعالى وقدره ويجب الرضا به، وما كان من سوء فليس بقضاء الله تعالى، ولا يجب الرضا به، ومن هنا قالوا: بخلق الإنسان لأفعاله، لئلا ينسبوا الشر إلى الله أو يطعنوا في عدله وحكمته⁽¹⁴⁴⁾.

وهم فيما ذهبوا إليه إنما حرصوا على التأكيد على نزاهة الذات الإلهية عن فعل الظلم والقيح، وقالوا بحرية الإنسان واستقلاله في إيجاد أفعاله ليحملوه المسؤولية عنها، ولا ينسبوا شيئاً منها إلى الله تعالى؛ لأن فيها الحسن وفيها القبيح، ومنها الخير ومنها الشر، والله تعالى منزّه عن فعل القبيح⁽¹⁴⁵⁾، وهذا صحيح، ولكنهم أخطأوا الطريق إليه، فوقعوا فيما هو أشنع مما حرصوا على عدم الوقوع فيه؛ إذ إن ذلك يقتضي أن يقع في ملكه ما لا يريد، ويريد ما لا يقع، ويلزم منه أن تكون الذنوب والمعاصي من العباد واقعة في ملكه بغير إرادته تعالى ومشئته ورغماً عنه؛ لأنه يريد الإيمان من الكافر فيقع الكفر، ويريد الطاعة من العاصي فتقع المعصية، كما يلزم منه كذلك أن تكون إرادة العبد نافذة في الوقت الذي تتخلف فيه إرادته تعالى، وهذا مما لا يجوز في حق الله تعالى، ولا يليق بجلاله؛ لأنه يستلزم نسبة الضعف والعجز إليه جلّ وعلا.

وأما الجبرية: فقد استمروا فعل المعاصي وارتكاب الذنوب واحتجوا لذلك بالقدر⁽¹⁴⁶⁾، وهم - على حد زعمهم - إنما فعلوا ما أراده الله منهم، وأجبرهم عليه⁽¹⁴⁷⁾، والناظر في مذهبهم يلحظ أنهم لقاموه - كذلك - على أصلين اثنين:

الأول: وربطوا فيه المشيئة والإرادة بالخلق؛ ولذلك يمتنع عندهم الإرادة من الله تعالى إلا بمعنى إرادة أن يخلق، وما لم يرد أن يخلقه لا يوصف بأنه مريد له، وقالوا: هو مريد لكل ما خلق وإن كان كفراً، ولم يرد ما لم يخلق وإن كان إيماناً⁽¹⁴⁸⁾؛ وهذا حق لم يخرجوا فيه عن إطار أهل السنة، بالنظر إلى أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولكنهم تجاوزوا الحق في توجيهه، والنتيجة التي بنوها عليه.

وأما أصلهم الثاني: فقد جعلوا فيه المشيئة والإرادة بمعنى المحبة والرضا؛ قال شارح الطحاوية: 'قالت الجبرية: الكون كله بقضاء الله وقدره، فيكون محبوباً مرضياً'⁽¹⁴⁹⁾، وبهذا جعلوا المشيئة والإرادة والمحبة والرضا بمعنى واحد، وقالوا بالتلازم بينهما، 'وظنوا أن كل ما خلقه الله وشاءه فقد أحبه ورضيه'⁽¹⁵⁰⁾،

وهذا الأصل نساوا فيه مع المعتزلة، وإن افترقوا عنهم في النتيجة التي رتبوها عليه؛ إذ رأوا أن مشيئة الله تعالى وإرادته الكفر والمعاصي تقتضي محبته لها ورضاه بها⁽¹⁵¹⁾.

ومع أن الطائفتين — المعتزلة والجبرية — قالتا بوجود الرضا بقضاء الله تعالى، وبالتالي الرضا بكل ما يخلقه ويقدره إلا أنهم افترقوا⁽¹⁵²⁾، قال ابن القيم: "ومن لم يفرق بين المشيئة والمحبة لزمه أحد أمرين باطلين لا بد من التزامه؛ إما القول بأن الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان، أو القول بأنه ما شاء ذلك ولا قدره ولا قضاه، وقد قال بكل من المتلازمين طائفة، قالت طائفة: لا يحبها ولا يرضاها فما شاءها، ولا قضاه، وقالت طائفة: هي واقعة بمشيئته وإرادته فهو يحبها ويرضاها، فاشتركت الطائفتان في هذا الأصل، وتباينا في لازمه"⁽¹⁵³⁾.

وأما أهل السنة: فقد وقفوا موقفاً وسطاً في مسألة إرادة الله لأفعال العباد؛ لم ينفوا فيه إرادة الله لأفعال الإنسان خيرها وشرها؛ ولم يلغوا مسؤولية العبد الأخلاقية عن أعماله التي يكتسبها باختياره، وحرصوا على ألا يحملوا النصوص الشرعية فوق طاقتها، أو ينحرفوا بها عن سياقها، لذلك رفضوا القول: بأن الأمر يستلزم الإرادة، والمشيئة تستوجب المحبة مطلقاً، وهذا هو محل النزاع مع المخالفين لهم من الطائفتين؛ المعتزلة والجبرية⁽¹⁵⁴⁾، ومذهبهم أن الإرادة تابعة للعلم وترادف المشيئة، ولا تستلزم الأمر والرضا والمحبة⁽¹⁵⁵⁾؛ بمعنى: أن إرادة الله تعالى محبطة بجميع مراداته على حسب علمه بها؛ فما علم منها كونه فقد أراده، خيراً كان أو شراً، أمر به أم لم يأمر، أحبه أم كرهه، وما علم منها عدم كونه أراد أن لا يكون؛ خيراً أو شراً، أمر به أم لم يأمر، أحبه أم كرهه.

ومع قولهم بوجود الإيمان بالقضاء والقدر والرضا به، واتفاقهم على أن الله تعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرها، وأن الكفر والفسوق والمعاصي من قضاء الله وقدره⁽¹⁵⁶⁾، إلا أنهم لم يوجبوا الرضا بها كما، قالت الجبرية، وإنما بمعنى: أنه خلقها وأوجدها على حسب علمه السابق وطبقاً لإرادته ومشينته، لا بمعنى أنها بأمره ورضاه ومحبته، فقد نهى عنها وسخطها⁽¹⁵⁷⁾، وأخبر تعالى أنه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر.

المبحث الخامس

دفع شبهة الاحتجاج بالقدر والمشيئة وعلم الله السابق على فعل الذنوب وترك الطاعات

تقوم هذه الشبهة على إبطال الأمر والنهي، والاحتجاج بالقدر على ترك العمل؛ وقد ظهرت بواند هذا الاتجاه الذي يتعالى لفعل المعصية بالقدر السابق، ومشية الله النافذة وعلمه الأزلي، في أواخر القرن الأول الهجري، وبدايات القرن الثاني الهجري، مع اتساع رقعة البلاد الإسلامية، واختلاط المسلمين بغيرهم، ثم كثر في المتأخرين⁽¹⁵⁸⁾. ويصعب — على الباحث — أن يحدد بداية لظهوره، ولكننا نجزم بأن القول به

المطلب الأول

قال أصحاب هذه الشبهة: كل شيء بإرادة الله تعالى ومشيئته، يستوي في ذلك الحسن والقيح، والخير والنشر، والطاعة والمعصية⁽¹⁶⁰⁾، كما قالوا: هو مريد لكل ما خلق وإن كان كفراً ولم يرد ما لم يخلق وإن كان إيماناً⁽¹⁶¹⁾، ولما كان الرضا بالقضاء واجباً، فقد أوجب هؤلاء الرضا بأفعال العباد خيرها وشرها، الحسن منها والقيح، الطاعة والمعصية، باعتبار أنها من خلق الله، وبقضائه وقدره، حيث قالوا: "ترضى بما حرم الله؛ لأنه من قضاء الله"⁽¹⁶²⁾، ولذلك سوغوا فعلهم الذنوب والمعاصي بكونها قضاءً وقدرًا، الأمر الذي أوقعهم بإباحة ما حرم الله من المنكرات، والقعود عن فعل الخيرات، وترك الواجبات⁽¹⁶³⁾.

المطلب الثاني

بيان أدلة القائلين بها

احتج أصحاب هذه الشبهة، بالأدلة الآتية:

- 1- بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [148: الأنعام]، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [35: النحل]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [20: الزخرف]، قلت؛ ومن جنس هذه الحجة، احتجاج إبليس على ربه بقضائه، إذ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [39: الحجر].

ووجه استدلالهم بهذه الآيات: أنهم نسبوا ما هم فيه من الشرك والمعاصي إلى مشيئة الله تعالى وإرادته، قالوا: ولو كان كارها له ولم يردده منا لأنكره علينا وحال بيننا وبينه، ولم يمكننا منه، ولم يقدروا عليه⁽¹⁶⁴⁾.

2- واحتجوا كذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [125: الأنعام]، وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [34: هود].

واستدلّاهم بهاتين الآيتين، مبني على أن الإرادة — عندهم — هي إرادة الخلق والتكوين، بمعنى المشيئة فقط، ولم يفرقوا فيه بين إرادة كونية وإرادة شرعية، ولذلك قالوا: هو مرید لكل ما خلق وإن كان كفراً، ولم يرد ما لم يخلق وإن كان إيماناً، وظنوا أن كل ما خلقه الله وشاءه فقد أحبه ورضيه⁽¹⁶⁵⁾، ومن هنا جاء استدلالهم بهاتين الآيتين ومثيلتهما، على أن وقوع الإنسان في الضلال والغواية والمعاصي إنما هو بمشيئة الله وإرادته، وإذا شاء ذلك منا، فقد رضيه لنا، ولو لم يردده منا لمنعنا إياه.

3- ومن السنة، استدلوا بحديث الاحتجاج بين آدم وموسى السابق، وظن من احتج على ذنبه بالقدر من الجبرية، أن آدم احتج بالقدر على الذنب، وأنه حج موسى بذلك⁽¹⁶⁶⁾.

4- ومن العقل: احتجوا بعلم الله الأزلي المحيط بكل ما يقع من أفعال العباد، إذ ظنوا: أن وقوع أفعال العباد على وفق علم الله السابق بها لا محالة، يعني أن يكونوا مجبورين في أفعالهم⁽¹⁶⁷⁾، وقالوا: الجبر لازم قطعاً؛ لأن علم الله وإرادته إما أن يتعلقا بوجود الفعل فيجب أو بعدمه فيمتنع لامتناع انقلاب علمه سبحانه جهلاً، وامتناع تخلف مراده عن إرادته أصلاً وحينئذ لا اختيار مع الوجوب ولا امتناع قطعاً⁽¹⁶⁸⁾، الأمر الذي دفع البعض أن يبرر معاصيه بكونه مجبوراً عليها، أو كونها قضاء وقدرًا.

المطلب الثالث

مناقشة الشبهة

بداية نقول لقد رفض أهل السنة هذا الاتجاه رفضاً قاطعاً، ونشطوا في الرد على القائلين به؛ لأنه يخالف صريح القرآن وصحيح السنة، ويدعو إلى ترك العمل والركون إلى القدر، وهنا لا بد في مناقشة هذه الشبهة من دراسة الأسس التي قامت عليها، وذلك فيما يلي:

أولاً: وجوب الرضا بكل ما خلقه الله تعالى ويقدره لم يدل عليه كتاب ولا سنة، ولم يقل به أحد من سلف الأمة؛ لأن وجوب الرضا بالقضاء لا يستوجب الرضا بكل مقضي، والرضا بالمقضي إنما يستمد من مدى شرعيته، وموافقة للكتاب والسنة⁽¹⁶⁹⁾، على أن الرضا بالقضاء لا يلزم منه وجوب الرضا بالمعاصي، والواجب على المؤمن الرضا بالمقدور من المصائب والنوائب والمكروهات مما لا سبيل للإنسان إلى دفعه، وليس المقصود الرضا بالكفر والعصيان والفسوق، ولا الصبر على الذل والضيم، فإن

الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية والهوان، وليس لأحد أن يحتج على فعل ذلك بقدر الله، بل عليه أن لا يفعلها، وإذا فعلها فعليه أن يتوب منها، على أن الرضا المطلوب من العبد هو الرضا عن الله تعالى في كل شيء، وحبس النفس بالصبر على أداء الطاعات وترك المعاصي، وأن يعالج ما يقع له في هذه الحياة الدنيا بما يكون موافقاً لشرع الله - سبحانه - الذي فيه مرضاته.

ثانياً: ومع أن الظلم والكفر والإفساد كائن بإرادة الله تعالى ومشيئته إلا أنه تعالى بين في كتابه العزيز أنه يحب المؤمنين والمتقين والمحسنين والمتطهرين، ولا يحب الظالمين والمفسدين والكافرين والفاجرين، وليست المشيئة والإرادة مبرراً لمحبة الذنوب والمعاصي أو التعلل بالقدر على فعلها، والواجب أن العبد يسخط ما يسخطه الله تعالى، ويبغض ما يبغضه، ويرضى بما يرضاه الله تعالى، وقد ذم الله من اتبع ما يُسخطه وكره ما يُرضيه، ولم يذم من كره مسأخطه، واتبع ما يرضيه⁽¹⁷⁰⁾، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [28: محمد].

والدارس لما ذهب إليه الجبرية يلاحظ اعتقادهم: بأن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وهذا حق وافقوا فيه أهل السنة، لكنهم قصرُوا في الأمر والنهي والوعد والوعيد، وأفرطوا حتى وقعوا في الغلو والإفراط، فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [148: الأنعام]، فقد أثبتوا القدر لكن خطأهم أنهم احتجوا به على إبطال الشرع، وتحليل ما حرم الله⁽¹⁷¹⁾، قال ابن حجر: "قلما عاند المشركون المعقول، وكذبوا المتقول الذي جاءتهم به الرسل وألزموا الحجة بذلك، تمسكوا بالمشيئة والقدر السابق، وهي حجة مردودة؛ لأن القدر لا تبطل به الشريعة، وجريان الأحكام على العباد بأكسابهم"⁽¹⁷²⁾.

ثالثاً: الآيات التي استدلت بها الجبرية لا تقوم لهم حجة على ما ذهبوا إليه واستدلوا عليه، إذ لا تصلح أن تكون دليلاً لتسويغ فعل المعاصي بكونها قضاءً وقدرًا، وإنما أنكر الله عليهم فيها معارضة شرعه وأمره - الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه - بقضائه وقدره، ولم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كما يفعل الزنادقة والملاحدة إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر⁽¹⁷³⁾، ولو أنهم قالوا ما قالوه إثباتاً لقدره، وانفتاراً إليه وتوكلاً عليه، ولم يعارضوا بذلك أمره ودعوة رسله لكانوا مصيبين فيما قالوه⁽¹⁷⁴⁾.

وقد ذمهم الله تعالى في هذه الآيات؛ لأنهم جعلوا الشرك كائناً منهم لمشيئة الله، وتبريراً منهم لانحرافهم وعدم إيمانهم، كما ذم إبليس، إذ أضاف الإغواء إلى ربه تعالى، إذ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [39: الحجر]، وفي قوله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [16: الأعراف]، وذلك من حيث أنه نسب ذنبه إلى ربه، واحتج بالقدر على تقصيره⁽¹⁷⁵⁾، وقد بين الله تعالى بطلان مقولتهم ورد

حجتهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [28:الأعراف].

رابعاً: قدر الله تعالى ومشيئته أمر غائب عن العبد لا يعلم تفاصيله إلا الله عز وجل، ولا يمكن للعبد معرفته إلا بعد وقوعه، والمحتج بالقدر والمشيئة على الكفر والمعصية منقول على الله بغير علم؛ إذ كيف يصح منه أن يحتج بأن الله تعالى كتب عليه الكفر والعصيان قبل صدور ذلك منه، مع أنه مخاطب قبل إقدامه على عصيان ربه بطاعته والتزام أمره، والمطلوب من العباد هو تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، واجتناب نواهيه، وليس المطلوب منهم أن يبحثوا عن غيبة المستور ليكيفوا أنفسهم على حسبه؛ لأن الله تعالى لم يكلف الناس أن يعلموا غيب مشيئته وقدره حتى يكيفوا أنفسهم على حسبه، فذلك غيب لا وسيلة لهم إليه، فكيف يعلموه؟ وإذا لم يعلموه فكيف يحلون عليه؟ قال تعالى في آية الأنعام التي احتجوا بها: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [148:الأنعام]، وقال تعالى في آية الزخرف: ﴿مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (176) [20:الزخرف].

خامساً: ولو صح الجبر لبطلت الشرائع والتكاليف، وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب (177)، وكان بعث الرسل وإنزال الكتب ودعوة الناس إلى دين الله تعالى، من باب العبث الذي لا يتفق وحكمة الخالق الحكيم في تصرفه وتكليفه الرحيم بعباده (178)، ولذلك يبطل احتجاج كثير من الفساق بالقضاء والقدر لفسقهم؛ إذ ليس القضاء والقدر مما يسلب قدرة العبد واختياره حتى يصح الاحتجاج به على ما يقع من العبد من المعاصي والذنوب (179).

روي أن شيخاً قام إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد انصرافه من صفين فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله تعالى وقدره؟ فقال عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطننا موطناً ولا هبطنا وادياً ولا علونا نلعة إلا بقضاء وقدر، فقال الشيخ: عند الله أحتسب خطاي، ما أرى لي من الأجر شيئاً، فقال الإمام علي عليه السلام: مه أيها الشيخ، بل عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائررون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: كيف ذلك والقضاء والقدر ساقطان؟ فقال الإمام علي عليه السلام: ويحك لعنك ظننت قضاء لازماً، وقدرأ حتماً، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمداً لمحسن (180).

سادساً: وأما استدلالهم، بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [125:الأنعام]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [34:هود]، فلم يميزوا فيه بين الحقيقة الدينية الشرعية، وبين الحقيقة الكونية القدرية التي يؤمن بها ولا يحتج بها على المعاصي، ولكن يسلم إليها عند المصائب (181).

ولتوضيح ذلك نقول: تقسم الإرادة الإلهية على أصول أهل السنة إلى قسمين، الأول: إرادة القضاء والتقدير؛ وهي إرادته المتعلقة بالخلق والتكوين، وتسمى "الإرادة التكوينية"، وترادف المشيئة في الإطلاق، وهي شاملة لجميع الكائنات، ومحيطة بجميع الحادثات؛ طاعة أو معصية، حسنة أو قبيحة، ولا تستلزم المحبة والرضا بالمراد، ومنها؛ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [125: الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [34: هود]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [16: الإسراء]. والثاني: إرادة الأمر والتشريع؛ وهي أن يريد الله تعالى من العبد فعل ما أمره به، والانتفاء عما نهاه عنه، وتتعلق بالطاعة والمعصية سواء وقعت أم لا، وتعرف "بالإرادة الدينية التشريعية"⁽¹⁸²⁾، ومنها؛ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [185: البقرة]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [26: النساء]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [6: المائدة]، وهذه الإرادة هي التي تتعلق بأفعال العباد الاختيارية، فيما طلب الله تعالى منا فعله أو تركه، فيستجيب له أناس ويعصيه آخرون، ولا تستلزم وقوع المراد، وتستلزم محبته والرضا به إن وقع موافقا لأمره أو نهيهِ⁽¹⁸³⁾، وتتعلق بكل ما أمر الله به ونهى عنه ديناً على سبيل التكليف الشرعي، قال ابن القيم: "الإرادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا... فالإرادة بالمعنى الأول تستلزم وقوع المراد، ولا تستلزم محبته والرضا به، وبالمعنى الثاني: لا تستلزم وقوع المراد، وتستلزم محبته"⁽¹⁸⁴⁾.

وبناءً على هذا للتوضيح: فقد يأمر الله بما لا يريد وقوعه؛ كما أمر نبيه إبراهيم الخليل - عليه السلام - بذبح ولده إسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - ولم يرد ذلك منه، وكذلك أمر إبليس بالسجود لآدم ولم يرد وقوعه منه، وقد يريد ما لا يحبه ولا يرضاه؛ كوقوع المعاصي من الفساق والكفر من الكفار، ولم يأمرهم بذلك بل نهاهم عنه⁽¹⁸⁵⁾، وقد يحب ما لا يشاؤه ولا يريد وقوعه، كالإيمان من الكفار، والطاعات من الفجار، فهي غير مرادة منهم، مع أن الله يحبها، وأمرهم بها، وحنثهم عليها، ورغبتهم فيها وحنثهم من تركها شرعاً، وحملهم مسؤولية التهاون فيها.

ومن هنا فإن الخير والطاعة من الأعمال تكون واقعة بإرادة الله تعالى التكوينية وإرادته التشريعية، وهو يحبها ويأمر بها شرعاً ودينياً ويرضاها، وأما الشرور والمعاصي فإنها تكون واقعة بإرادة الله تعالى التكوينية العامة الشاملة لكل شيء، ولكنها ليست مرادة لله تعالى شرعاً ولا يحبها ولم يأمر بها على سبيل التشريع، ويكره من العباد أن يفعلوها، ولا يرضى بها إذا وقعت، وإن وقعت في كونه وشاء وقوعها بإرادته الكونية، فخلقها لها لحكمة اقتضت ذلك وإن لم يحبها ويرضى بها⁽¹⁸⁶⁾، كما يحب الله تعالى من

عبادة القيام بما أمرهم به من الخير، والانتهاز عما نهاهم عنه من المنكر، ويرضى ذلك منهم، ووعدهم عليه بالمدح والثواب، ويكره لهم ترك ما أمرهم به وفعل ما نهاهم عنه وتوعدهم بالعقاب والحساب، ولا يرضى لعباده الكفر والفسوق والعصيان، ولذلك قال أهل السنة: لا يقع في ملكه إلا ما يريده، وإرادته شاملة لجميع الكائنات وإن لم يكن أمراً بها، بالنظر إلى إرادته التكوينية المتعلقة بفعله والمحيطه بكل ما يحدث خيراً أو شراً، وقالوا: يحب الخير ويرضى به، ويكره الشر ويبغضه بالنظر إلى أوامره الدينية وإرادته التشريعية.

ولعل عدم التفريق بين الإرادتين هو ما أدى إلى الضلال والخلط في فهم العلاقة بين كل من المشيئة والإرادة، والمحبة والرضا والأمر، فالمعتزلة: جعلوا الإرادة شرعية فقط⁽¹⁸⁷⁾، وأخرجوا المعاصي من إرادته وخلقه؛ لأنه لا يريد بها شرعاً ولا يحبها، والجبرية: جعلت الإرادة كونية فقط⁽¹⁸⁸⁾، لذلك قالوا: كل ما أراده فهو يحبه ويرضى به، حتى قالوا نرضى بالذنوب والمعاصي لأنها من قضاء الله تعالى، ولذلك احتجوا بمشيئة الله وقدره على إبطال أمره ونهيه.

وإذا ما عرف هذا فإننا نستطيع القول بأن المعاصي والمنكرات والذنوب والقبائح مع أنها بمشيئة الله تعالى وقضائه، ولا تخرج عن إرادته الكونية العامة، إلا أنها ليست بأمره الشرعي ولا بمحبته ولا مرضية عنده، بل يبغضها ويكرهها ويمقت عليها⁽¹⁸⁹⁾، والنصوص على ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾ [البقرة: 205]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [7: الزمر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [28: الأعراف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [9: النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [190: البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَانٌ وَزَيَّنَّاهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [7: الحجرات]، وبعد أن ذكر عدداً من الفواحش والمنكرات، قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [38: الإسراء]⁽¹⁹⁰⁾، وقال تعالى: ﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [35، 36: القلم]، وهذا مثله في القرآن كثير، وفي السنة أكثر من أن يحصى، كلها أدلة واضحة على أن المعاصي والفواحش مع أنها لا تخرج عن إرادة الله تعالى ومشيئته إلا أنه ليس شيئاً منها بمحبته ورضاه⁽¹⁹¹⁾، لأن محبة الفعل والرضا به أو مقته وعدم محبته إنما هي قيم تستمد من كون الفعل موافقاً لما أمر الله به شرعاً أم لا، ومن حيث هو طاعة أو معصية وفق المعايير الشرعية التي بينها الله تعالى في كتابه والرسول ﷺ في سنته، لا من حيث موافقته للإرادة والمشيئة الإلهية التي هي من صفات الله تعالى المتعلقة بذاته، وليست أوصافاً لأعمال العباد وأفعالهم⁽¹⁹²⁾.

سابعاً: ومجرد المشيئة والقدرة لا تكون عمدة لأحد في الفعل، ولا حجة لأحد في الترك؛ إذ الناس كلهم مشتركون في القدر فلو كان هذا حجة وعمدة لم يحصل فرق بين العادل والظالم، والصادق والكاذب،

والبر والفاجر، ولم يكن فرق بين ما يصلح الناس من الأعمال وما يفسدهم، وما ينفعهم وما يضرهم⁽¹⁹³⁾، وخلق الله لأفعال العباد لا يستلزم أن يكونوا مكرهين عليها، وقد أذاق الله عز وجل الكافرين بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين لما ارتكبوه من الجرائم والآثام والكفر والشرك لما عذبهم الله تعالى؛ لأنه عادل لا يظلم أحداً، والاحتجاج بقدر الله على المعصية مع ظهور عقابه - سبحانه - للعصاة، فيه نسبة الظلم إليه تعالى، وهذا ما يتنافى مع الإيمان بكماله ونزاهته عن النقائص سبحانه وتعالى⁽¹⁹⁴⁾.

ثامناً: لا علاقة للقضاء والقدر بمسألة الجبر مطلقاً كما يتوهم بعض الناس؛ لأن اتصاف الله تعالى بالعلم الشامل المحيط بكل شيء منذ الأزل، هو من باب الكشف عما سيقع قبل أن يقع، وعلم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها بالكيفية التي أرادها لا يسلب الفاعلين اختيارهم عند الفعل ولا يتضمن الإجبار، ولا يعني الإكراه والاضطرار؛ لأن الله تعالى وهب الإنسان إرادة حرة شأنها الاختيار، مع علمه الأزلي بما يختاره العبد، ثم تفضل عليه بأن منحه عقلاً يميز به ما يقوم باختياره من الخير والشر، وبعث إليه بالرسول ليعلموه ويرشدوه، وعليه فلا يصح أن يكون علم الله الأزلي بما يكون من أعمال العباد تبريراً للشر وإلقاءه على الله سبحانه وتعالى؛ لأن العلم صفة من شأنها أن تكشف الأشياء على ما هي عليه في الواقع دون أن يكون لها تأثير في إيجادها أو إعدامها كالقدرة، وكشفها لهذه الأشياء لا يغير في وصفها، ولا يؤثر في كونها، قال الخطابي: "قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قضاه وقدره، ويتوهم أن فلج آدم في الحجة على موسى إنما كان من هذا الوجه وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم وصنوعها عن تقدير منه تعالى، وخلق لها خيرها وشرها.. وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور وملابسهم إياها عن قصد وتعمد، وتقدم إرادة واختيار فالحجة إنما تلزمهم بها، واللائمة تلحقهم عليها⁽¹⁹⁵⁾، يروى أن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنهما: "ظهر في زماننا رجال يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التي حرم الله، ثم يحتجون علينا، ويقولون كان ذلك في علم الله تعالى، فغضب ابن عمر رضي الله عنهما وقال: سبحان الله، كان ذلك في علم الله ولم يكن علمه يحملهم على المعاصي⁽¹⁹⁶⁾".

تاسعاً: وهؤلاء يقبلون بهذه الحجة لتبرير ذنوبهم ومعاصيهم، ولا يقبلون بها إذا احتج عليهم غيرهم في أكل حقوقهم أو إيقاع الظلم عليهم، ولو احتج عليهم لما قبلوا ذلك منه، فصاروا يحتجون بالقدر على ترك حق ربهم ومخالفة أمره، بما لا يقبلونه ممن ترك حقوقهم وخالف أمرهم⁽¹⁹⁷⁾.

وفي ختام هذا المبحث وقد تبين لنا بطلان شبهة الجبرية ينبغي أن يعلم أن دفع الاحتجاج بالقدر لا ينافي الإيمان به، وبطلان الاحتجاج به لا يقتضي التكذيب بالقدر؛ لأن قبول هذه الحجة يوجب الفساد الذي لا صلاح معه.

الخاتمة

وفيها أخص أهم نتائج البحث:

1. حديث الاحتجاج حديث صحيح من طريق أبي هريرة، رضي الله عنه، رواه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن والمسائيد، وليس فيه حجة لمن يتعلل بالقدر لإبطال العمل أو تبرير ارتكاب الذنوب والمعاصي بالقضاء والقدر، ولا يصلح أن يكون مستنداً لمن يحتج به لذلك، وإن بدا في ظاهره كذلك.
2. وحجة آدم على موسى - في الحديث - ليست من هذا الباب، لأن آدم لم يحتج بالقدر على المخالفة، وإنما احتج به على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة؛ إذ لا مانع من الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي يجب الاستسلام لها ولا يمكن للمرء دفعها بالأسباب المشروعة، على أن لا يتخذ ذلك وسيلة لإبطال تلك الأسباب.
3. ليس المراد بالكتابة والتقدير في الحديث، حقيقة القدر وأصله، وسابق علمه وإرادته؛ لأن علم الله تعالى أزلي، وما قُدره على عباده وأرادته من خلقه أزلي لا أول له، ولم يزل سبحانه مريداً لما يقع من خلقه من طاعة ومعصية وخير وشر، والراجح أنه أراد بقوله: "قُدره الله عليّ قبل أن أخلق"، أي: كتبه في التوراة؛ ويؤيد هذا ما جاء في إحدى روايات الحديث من قول آدم لموسى، عليهما السلام: "فبكم وجدت الله كتب في التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى بأربعين عاماً".
4. اتفق أهل السنة على أن الله تعالى خالق أفعال العباد خيراً وشرها، بمعنى: أنه خلقها وأوجدها على حسب علمه السابق بها، وإرادته ومشئته، إلا أن ذلك لا يعني بحال إلغاء مسؤولية العبد الأخلاقية عن أعماله التي يكتسبها باختياره، أو جبره على اختيار فعل دون آخر فيما كلف فيه بين الفعل والترك؛ لأن سلب الاختيار ينافي مبدأ التكليف الذي يقوم على أساس العدل وعدم الظلم، وإلزام العبد المسؤولية عما يقوم به من الأفعال ويختار.
5. لا علاقة للقضاء والقدر بمسألة الجبر مطلقاً كما يتوهم بعض الناس؛ لأن اتصاف الله تعالى بالعلم الشامل المحيط بكل شيء منذ الأزل، هو من باب الكشف عما سيقع قبل أن يقع، وعلم الله تعالى بالأشياء قبل وقوعها بالكيفية التي أرادها لا يسلب الفاعلين اختيارهم عند الفعل ولا يتضمن إجبارهم عليه، ولا يعني الإكراه والاضطرار.
6. كون أفعال العباد بقضاء الله تعالى وقدره، لا يعني ذلك مبرراً للمرء ارتكاب المعاصي أو التهاون في أداء ما افترض الله تعالى عليه من الطاعات أو التقصير فيها، وإنما معناه: الإخبار عن

تقدم علم الله سبحانه بما يكون من أفعال العباد وأكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها.

7. الاحتجاج بالقدر على ترك الطاعات أو فعل المعاصي وارتكاب ما حرم الله تعالى، حجة باطلة شرعاً وعقلاً، وقبول هذه الحجة يدفع إلى الفسق والفجور ويستلزم الفساد والانحراف، وقد توعد الله - سبحانه - الفاسقين والفجار والمفسدين والمنحرفين نار جهنم وبئس المصير.

الهوامش

- (1) الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، 1400هـ (ط1)، كتاب القدر، باب "حاج آدم وموسى عند الله"، حديث رقم (6614)، ج4، ص212. والإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1972م (ط2)، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (2652)، ج4، ص2043.
- (2) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (2652)، ج4، ص2043.
- (3) الإمام الحافظ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، السنن، (بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج4، ص226)، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (4702)، ج4، ص2043.
- (4) الإمام مالك، الموطأ، كتاب القدر، باب "النهي عن القول في القدر"، حديث رقم (1617).
- (5) الإمام أحمد، المسند، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1414هـ/1993م، ط2)، حديث رقم (7340)، ج2، ص491، وحديث رقم (7534)، ج2، ص519، وحديث رقم (7579)، ج2، ص526، وحديث رقم (7796)، ج2، ص558، وحديث رقم (8851)، ج3، ص100، وحديث رقم (8925)، ج3، ص111، وحديث رقم (9500)، ج3، ص199، وحديث رقم (9664)، ج3، ص227.
- (6) الإمام البخاري، الجامع المسند الصحيح، كتاب الأنبياء، باب "وفاة موسى وذكره بعده"، حديث رقم (3409)، وكتاب التفسير، باب "واصطنعتك لنفسي"، حديث رقم (4736)، وباب "فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى"، حديث رقم (4738)، وكتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى عند الله"، حديث رقم (6614)، وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليماً"، حديث رقم (7515).

(7) الإمام مسلم، الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (2652).

(8) الإمام أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب "في القدر"، حديث رقم (4701)، وحديث رقم (4702).

(9) الإمام ابن ماجه، السنن، المقدمة، باب "في القدر"، حديث رقم (80).

(10) الإمام الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب "ما جاء في حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (2134).

(11) انظر: الحافظ يوسف بن عبدالرحمن المزني (ت742هـ)، تحفة الأشراف في معرفة الأطراف، تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، بيروت، المكتب الإسلامي، 1403هـ/1983م (ط2)، ج9، 12360، 12389، ج10، 13529، ج11، 15361. وانظر: د. بشار عواد معروف ورفاقه، المسند الجامع لأحاديث الكتب الستة ومؤلفات أصحابها الأخرى، وموطأ مالك، ومسانيد الحميدي، وأحمد وعبيد بن حميد، وسنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، بيروت، دار الجيل (ط1)، 1413هـ/1993م، ج11، ص488-494.

(12) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت751هـ/1350م)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م (ط1)، ص25.

(13) الإمام الحافظ أبو داود، السنن، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (4702). وفي سندها هشام بن سعد، ضعفه بعض العلماء؛ قال الدوري عن ابن معين ضعيف، وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين صالح وليس بمتروك الحديث، وقال معاوية بن صالح عن ابن معين ليس بذلك القوي، وقال ابن أبي مريم عن ابن معين ليس بشيء... وقال النسائي ضعيف، وقال مرة ليس بالقوي" [انظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1327هـ (ط1)، ج11، ص39-41].

(14) أبو محمد عبد بن حميد، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي ورفيقه، القاهرة، مكتبة السنة، 1408هـ/1988م (ط1)، حديث رقم (949)، ج1، ص295. وفي سندها أبو هارون العبدى، وهو عمارة بن جُوَيْن، مشهور بكنته، متروك، ومنهم من كنبه، [انظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، حلب، دار الرشيد، 1418هـ/1997م (ط4)، ترجمة رقم (4840)، ص408].

- (15) انظر: احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الرياض، دار السلام، 1421هـ/2000م (ط3)، ج11، ص616.
- (16) يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبد البر القرطبي (ت463هـ/1071م)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: سعيد أحمد، 1407هـ/1987م، ج18، ص12.
- (17) تقدمت الإشارة إلى تخريج هذه الأجزاء من الروايات التي ذكرتها هنا، وما سأذكره في؛ ثانيا وثالثا ورابعا، وذلك في الهولامش (4-11)، لا داعي لتكرارها أرجو مراجعتها هناك.
- (18) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص615.
- (19) الإمام محمد بن خليفة الوشتاني (ت827هـ)، إكمال إكمال المعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م (ط1)، ج9، ص25.
- (20) انظر: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت793هـ/1390م)، شرح المقاصد، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب، 1419هـ/1998م (ط2)، ج5، ص53.
- (21) انظر: سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، ج5، ص50-51.
- (22) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص617.
- (23) محي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي (ت676هـ/1277م)، شرح صحيح مسلم، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، دت، دط، ج16، ص200.
- (24) ابن بطلال: هو أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري (ت449هـ)، يماني الأصل، من أهل قرطبة، فقيه مالكي وعالم بالحديث، من كتبه: شرح صحيح البخاري، كثيرا ما نقل عنه ابن حجر في الفتح، والاعتصام في الحديث، وغيرهما.
- (25) (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال (ت449هـ)، شرح ابن بطلال على البخاري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م (ط1)، ج1، ص322.
- (26) الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، ج3، ص19.
- (27) القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ)، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، المنصورة، دار الوفاء، 1419هـ/1998م (ط1)، ج8، ص138.
- (28) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص618. والوشتاني، إكمال إكمال المعلم، ج9، ص25.

(29) انظر: بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت855هـ)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ/2001م (ط1)، ج19، ص87.

(30) هو محمد بن أحمد بن عبد الباقي، أبو بكر الدقاق، المحدث، المعروف بابن الخاضبة، ولعل ما ورد في الفتح من التصحيح، جمع بين علم القراءات والحديث (ت489هـ)، [انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، عالم الكتب، 1423هـ/2003م، ج16، ص158].

(31) هو ابن أبي زيد عبدالله بن أحمد، الإمام المحدث، الحافظ أبو سعيد السجزي، كان يذهب إلى القدر، ويقرا الحديث بنصب آدم، توفي بنيسابور سنة (477هـ)، [انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص92].

(32) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص620.

(33) القدرية: هم الذين زعموا أن العبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى، وسموا قدرية لإنكارهم القدر الإلهي في أفعال العباد، بمعنى: أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، وعرف المعتزلة باسم "القدرية"؛ لأنهم أسندوا أفعال العباد إلى قدرتهم، مع أنهم لا يرضونه، بل أطلقوه على خصومهم احترازا من وصمة اللقب لأن الذم به كان متفقا عليه، وقالوا: من يثبت القدر لله تعالى أحق أن ينسب إليه من نافية. [بالنصرف؛ راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص38، والجرجاني، التعريفات، ص174].

(34) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص620. والنووي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص201. والعيني، عمدة القارئ، ج23، ص245.

(35) النووي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص200.

(36) أبو داود، كتاب السنة، باب "في القدر"، حديث رقم (4702).

(37) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص617.

(38) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب "الإسراء برسول الله، صلى الله عليه وسلم"، حديث رقم (162).

(39) القاضي عياض، إكمال المعلم، ج8، ص137.

(40) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص617.

(41) ابن بطلان، شرحه على صحيح البخاري، ج10، ص321.

(42) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم، ج8، ص137. والنسوي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص200. وأبو الحسن القابسي: هو الحافظ علي بن محمد بن خلف الأندلسي، فقيه مالكي، توفي سنة (403هـ)، من تصانيفه: مناسك الحج، والملخص في شرح الموطأ للإمام مالك، وغيرهما. [انظر: إسماعيل باشا بن محمد البغدادي (ت1920م)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ/1992م، د.ط، ج5، ص685].

(43) ابن عبد البر، التمهيد، ج18، ص16.

(44) الثوريشتي: هو فضل الله بن حسن، شهاب الدين أبو عبدالله الفقيه الحنفي، توفي سنة (661هـ)، من كتبه: الميسر في شرح مصابيح السنة للبعوي، مطلب الناسك في علم المناسك، وغيرهما. [انظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج5، ص821].

(45) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص622.

(46) انظر: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، ابن الجوزي (ت597هـ/1201م)، كشف المشكل عن صحيح البخاري، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م (ط1)، ج4، ص345. وابن حجر، فتح الباري، ج11، ص617.

(47) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص617.

(48) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص615.

(49) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص615.

(50) انظر: أبو داود، كتاب السنة، باب "في القدر"، حديث رقم (4702).

(51) انظر: صحيح ابن خزيمة، كتاب الصيام، باب "النهي عن الوصال إلى السحر"، حديث رقم (2072). قال ابن حجر: "رواه أحمد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، كلهم عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: "إني أظن عند ربي يطعمني ويسقيني"، وكذلك رواه أحمد أيضا عن ابن نمير، وأبو نعيم في المستخرج من طريق إبراهيم بن سعيد عن ابن نمير عن الأعمش، وأخرجه أبو عوانة عن علي بن حرب عن أبي معاوية كذلك، وأخرجه هو وابن خزيمة من طريق عبيدة بن حميد عن الأعمش كذلك، ورواية الحديث بلفظ "عند ربي" لم ينفرد بها الأعمش، فقد أخرجها أحمد أيضا من طريق عاصم ابن أبي النجود عن أبي صالح، ووقعت في حديث غير أبي هريرة، وأخرجها الإسماعيلي في حديث عائشة أيضا عن الحسن بن سفيان عن عثمان بن أبي شيبة بلفظ "أظن عند الله يطعمني ويسقيني"، وعن عمران بن موسى عن عثمان بلفظ "عند ربي"، ووقعت

أيضا كذلك عند سعيد بن منصور وابن أبي شيبة من مرسل الحسن بلفظ "إني أبيت عند ربي". [ابن حجر، فتح الباري، ج4، ص264].

(52) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص615.

(53) ابن الجوزي، كشف المشكل، ج4، ص345.

(54) انظر: ابن عبد البر، التمهيد، ج18، ص16.

(55) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب "حاج آدم وموسى عند الله"، حديث رقم (6614).

(56) وأبو داود، كتاب السنة، باب "في القدر"، حديث رقم (4701).

(57) مسلم، كتاب القدر، باب "حاج آدم وموسى عليهما السلام"، حديث رقم (2652). البخاري، كتاب التفسير، باب "فلا يخرجكما من الجنة فتشقى"، حديث رقم (4738). ومسلم، كتاب القدر، باب "حاج آدم وموسى عليهما السلام"، حديث رقم (2652)، وغيرهما.

(58) أبو داود، كتاب السنة، باب "في القدر"، حديث رقم (4702).

(59) الترمذي، كتاب القدر، باب "ما جاء في حاج آدم وموسى عليهما السلام"، حديث رقم (2134). وأحمد، حديث رقم (8925)، ج3، ص111.

(60) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص619.

(61) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب "حاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (2653).

(62) يراجع: ابن الجوزي، كشف المشكل، ج4، ص345. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص619.

(63) النووي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص201. وانظر: القاضي عياض، إكمال المعلم، ج8، ص140.

(64) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص25.

(65) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص622.

(66) ابن التين: هو أبو محمد عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد، المشهور بابن التين، الصفاقسي التونسي، المالكي، محدث وفقيه، توفي سنة (611هـ)، له شرح على صحيح البخاري اسمه: الخير الفصيح الجامع لفوائد مسند البخاري الصحيح، [انظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج5، ص635. وذكره محمد بن محمد مخلوف في كتابه: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية].

- (67) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 619.
- (68) المازري: هو الحافظ أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد التميمي، المازري نسبة إلى مازرة بصقلية، توفي سنة (536هـ)، محدث وفقه من أئمة المالكية، من تصانيفه: المعلم بفوائد صحيح مسلم، وإيضاح المحصل في برهان الأصول، [انظر: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج 5، ص 88].
- (69) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 619. والقاضي عياض، إكمال المعلم، ج 8، ص 140. والنووي، شرح صحيح مسلم، ج 16، ص 201.
- (70) مسلم، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى عليهما السلام"، حديث رقم (2652).
- (71) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم، ج 8، ص 139. وانظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص 25.
- (72) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 622. وابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص 25.
- (73) ابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 622.
- (74) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص 25.
- (75) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص 26.
- (76) الإمام البخاري، كتاب الجنائز، باب "ما ينهى من سب الأموات"، حديث رقم (1393).
- (77) ابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 622.
- (78) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص 26.
- (79) انظر: القاضي عياض، إكمال المعلم، ج 10، ص 139. والنووي، شرح صحيح مسلم، ج 16، ص 202. وابن حجر، فتح الباري، ج 11، ص 621. والعيني، عمدة القارئ، ج 23، ص 245.
- (80) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب "رجم اليهود أهل الذمة في الزنا"، حديث رقم (1703)، والتتريب: التوبيخ واللوم على الذنب.
- (81) ابن الجوزي، كشف المشكل، ج 4، ص 344.
- (82) ابن بطلان، شرحه على البخاري، ج 10، ص 321. وانظر: ابن عبد البر، التمهيد، ج 18، ص 15.

- (83) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص622.
- (84) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص202. والقاضي عياض، إكمال المعلم، ج10، ص139.
- (85) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص621.
- (86) انظر: ابن الجوزي، كشف المشكل، ج4، ص345. وابن حجر، فتح الباري، ج11، ص621. وانظر: العيني: عمدة القارئ، ج23، ص246.
- (87) حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت388هـ)، محدث من كابل، له كتاب "معالم السنن" في شرح سنن أبي داود. [انظر ترجمته: ابن خلكان، وفیات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1978م، ج1، ص166. والزركلي، الأعلام، ج2، ص273].
- (88) انظر: الإمام حمد بن محمد الخطابي (ت388هـ)، معالم السنن شرح سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ/1991م، (ط1)، ج4، ص297.
- (89) الداودي: هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المالكي التلمساني، توفي سنة (402هـ/1011م)، محدث وفقه من علماء المغرب العربي، من كتبه: النصيحة في شرح البخاري، والقاضي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، [انظر: الدكتور يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب العربي، بيروت، دار لسان العرب، د.ت، د.ط، ج2، ص569].
- (90) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص622.
- (91) انظر القاضي عياض، إكمال المعلم، ج10، ص139.
- (92) النووي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص202.
- (93) انظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (728هـ/1327م)، منهاج السنة النبوية، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج2، ص9-10. وابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص32. ابن أبي العز الحنفي (ت792هـ/1389م)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت، المكتب الإسلامي، 1408هـ/1988م (ط9)، ص147. محمد بن أحمد السفاريني (ت1188هـ/1774م)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، بيروت، المكتب الإسلامي، 1411هـ/1991م (ط3)، ج1، ص346-347.

(94) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص32-33. وانظر: الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري (ت1277هـ/1861م)، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ/2001م (ط1)، ص126.

(95) هكذا النص الذي أورده ابن القيم، وعبارة الحديث: "أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني"، [الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم (2652)].

(96) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص32.

(97) الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب "الإيمان للقدر والإذعان له"، حديث رقم (2664).

(98) تراجع: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص33-34.

(99) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص622.

(100) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص25.

(101) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص26.

(102) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص622.

(103) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص26.

(104) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص26.

(105) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص621.

(106) انظر: الخطابي، معالم السنن، ج4، ص297.

(107) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص26.

(108) أهل السنة والجماعة: السنة في اللغة: السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة، وفي العرف الشرعي، معناها: الطريقة المحمودة، ولذلك قيل فلان من أهل السنة، أي من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، [انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1413هـ/1993م، مادة سنن، ج6، ص399]، قال الشوكاني: "تطلق السنة على ما قابل البدعة، كقولهم فلان من أهل السنة"، [محمد الشوكاني، إرشاد الفحول، البابي الحلبي، مصر، ط1، ص31]، وأهل السنة والجماعة هم أهل الطريقة المستقيمة في إتباع الحق وطلبه، بالاعتماد على القرآن

والسنة، ويقابلهم أهل الأهواء والبدع، وهم الذين لا يتبعون القرآن ويخالفون السنة، ويفرقون كلمة الأمة، وأهل السنة في اصطلاح الفرق يدل على أهل الحق من المسلمين في مقابل فرق الروافض والخوارج والمعتزلة والجبرية والمرجئة والغلاة وغيرهم، فقد ابتدعت كل فرقة منهم مقالة خالفت فيها جماعة المسلمين وكلمتهم، قال البغدادي: "أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضاً، وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير، وهم أهل الجماعة القائمين بالحق، ولا يقولون في أسلاف هذه الأمة منكراً"، [انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص361]، قال الأشعري: "جملة ما عليه أهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله، لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله سبحانه واحد فرد صمد لا إله غيره، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور"، [الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، ص345 وما بعدها]، ولا يضر اختلافهم في الاجتهاد ما دامت تجمعهم أصول الدين وسنن الهدى التي ورثوها عن نبيهم المصطفى.

(109) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص31-32.

(110) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص621.

(111) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت751هـ/1350م)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق: عبدالله الأنصاري، الدوحة، مطبعة الدوحة الحديثة، د.ت، د.ط، ص231.

(112) انظر: ابن عبد البر، التمهيد، ج18، ص15. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص621.

(113) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص621. وانظر: القاضي عياض، إكمال المعلم، ج8، ص139.

(114) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص622.

(115) الإمام البخاري، كتاب الجائز، باب "ما ينهى من سب الأموات"، حديث رقم (1393).

(116) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص622.

(117) للنووي، شرح صحيح مسلم، ج16، ص202.

(118) انظر: تخریج هذه الروایات على التوالي؛ البخاري، كتاب التوحيد، باب "وكلم الله موسى تكليماً"، حديث رقم (7515). البخاري، كتاب التفسير، باب "واصطنعتك لنفسي"، حديث رقم (4736). وكتاب القدر، باب "حاج آدم وموسى عند الله"، حديث رقم (6614)، وعند مسلم، كتاب القدر، باب "حاج آدم

وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم(2652). مسلم، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى، عليهما السلام"، حديث رقم(2652).

(119) نظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص31.

(120) ابن عبد البر، التمهيد، ج18، ص13.

(121) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب "حجاج آدم وموسى عند الله"، حديث رقم(6614).

(122) المعتزلة: من الفرق التي ظهرت في تاريخ المسلمين، بدأت مع زعيمها الأول واصل بن عطاء، عندما اعتزل مجلس الحسن البصري، ثم نمت هذه الفرقة وتفرعت إلى فرق عديدة، كان لها دورها في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ثم انقسمت إلى معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد، خالفوا في أصولهم ما أجمع عليه أهل السنة، وجمعهم القول بالأصول الخمسة؛ التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطلق عليها أسماء عدة منها: القدرية والمعتلة والجهمية، [انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص38-39، والبغدادي، الفرق بين الفرق، ص114].

(123) الجبرية: مأخوذة من الجبر، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، وهم أصناف، وما نعينه هنا في بحثنا الجبرية الخالصة، التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل، ولا إرادة ولا اختيار، وتقول: يخلق الله الأفعال في الإنسان كما يخلقها في الحيوان والجماد، ونسبها إلى الإنسان من قبيل المجاز، ومن أبرز متكلميهم الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، الذي تنسب إليه فرقة الجهمية، [انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص72-73، والبغدادي، الفرق بين الفرق، ص211].

(124) انظر: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت548هـ/1153م)، الملل والنحل، ج1، ص72-73. عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت429هـ/1037م)، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، د.ت، د.ط، ص211.

(125) انظر: ابن بطال، شرحه على البخاري، ج10، ص323.

(126) القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (ت415هـ/1025م)، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، القاهرة، مكتبة وهبة، 1408هـ/1988م (ط2)، ص323. وانظر: إمام

- الحرمين عبد الملك الجويني (478هـ/1085م)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1416هـ/1996م (ط3)، ص173.
- (127) انظر: الدكتور عرفان عبد الحميد عرفان (ت1427هـ/2007م)، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404هـ/1984م (ط1)، ص268.
- (128) ابن بطلان، شرحه على البخاري، ج10، ص322.
- (129) يراجع: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص334. وانظر: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط (ت300هـ)، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: المستشرق: نيبيرج، القاهرة، 1344هـ/1925م، ص117.
- (130) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص25.
- (131) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص621.
- (132) انظر: ابن عبد البر، التمهيد، ج18، ص15، وص17، (بالتصرف).
- (133) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص624.
- (134) انظر: أبو داود السجستاني (ت275هـ)، السنن، كتاب السنة، باب "في القدر"، حديث رقم (4691).
- (135) أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي (ت377هـ)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: سفن درينك، 1936م، ص12.
- (136) انظر: الثقاتاني، شرح المقاصد، ج4، ص274-275. عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت756هـ/1355م)، المواقف في علم الكلام، بيروت، عالم الكتب، د.ت، د.ط، ص321. الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت816هـ/1413م)، شرح المواقف، بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م (ط1)، ج8، ص194. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت728هـ/1327م)، مجموع الفتاوى، 1398هـ (ط2)، ج8، ص459. علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي (ت456هـ/1064م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1420هـ/1999م (ط2)، ج2، ص170.
- (137) الشيخ مصطفى صبري (ت1373هـ/1954م)، موقف البشر تحت سلطان القدر، القاهرة، المطبعة السلفية، 1352هـ (ط1)، ص74.
- (138) ابن حجر، فتح الباري، ج11، ص582.

- (139) انظر: ابن بطلان، شرحه على صحيح البخاري، ج10، ص322.
- (140) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص464، وانظر: الإيجي، المواقف، ص157. والجرجاني شرح المواقف، ج6، ص138.
- (141) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص467. وفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606هـ/1209م)، الأربعين في أصول الدين، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1406هـ/1986م (ط1)، ج1، ص343. وابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص218.
- (142) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج2، ص38.
- (143) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت751هـ/1350م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار الفكر، 1408هـ/1988م، د.ط، ج1، ص252. وانظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج13، ص555.
- (144) انظر: القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص464. وابن تيمية، منهاج السنة: ج2، ص41. محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج1، ص361.
- (145) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص461. وابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص445.
- (146) لعل بؤادر هذا الاتجاه الذي يتعلل لفعل المعصية بالقدر السابق ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري وبدايات القرن الثاني الهجري، مع اتساع رقعة البلاد الإسلامية واختلاط المسلمين بغيرهم، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "شاع القول به أوائل العصر الأموي وكثر حتى صار مذهبا في آخره"، [محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ص104]، ويذكر القاضي عبد الجبار "أن رجلا قال لابن عمر: ظهر في زماننا رجال يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التي حرم الله، ثم يحتجون علينا، ويقولون كان ذلك في علم الله، فغضب ابن عمر وقال: سبحان الله، كان ذلك في علم الله ولم يكن علم الله يحملهم على المعاصي"، [القاضي عبد الجبار، المنية والأمل، ص19].
- (147) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص72-73.
- (148) والبغداد، الفرق بين الفرق، ص211. ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص31.
- (149) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص251.

- (150) ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص31. ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين، ص160.
- (151) ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص35. وانظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1، ص251-252.
- (152) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص41. وابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص251. وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1، ص252. والسفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج1، ص361.
- (153) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص215.
- (154) فخر الدين الرازي، الأربعين في أصول الدين، ج1، ص345. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص555.
- (155) وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص555. عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت429هـ/1037م)، أصول الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1400هـ/1980م (ط2)، ص102. والسفاريني، لوامع الأنوار، ج1، ص338.
- (156) تقسيم القدر الذي يجب الإيمان به إلى خير وشر، إنما هو بإضافته إلى الخلق، وأما بالإضافة إلى الله تعالى، فالقدر خير كله، والشر لا ينسب إليه؛ لأن نسبة الشر إليه توهم أنه يأمر به، والله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد، والأدب يقتضينا ألا نضيف الشر إلى الله تعالى مفرداً، لا وصفاً ولا فعلاً، إلا أن يدخل في عموم، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [62: الزمر]، أو أن يضاف إلى سبب؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [2: الفلق]، أو أن يحذف فاعله؛ كقوله تعالى، حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [10: الجن]، وكما في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم — عليه السلام —: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [80: الشعراء]، نسب المرض إلى نفسه مع أنه يعلم حق العلم بأن الله تعالى خالق كل شيء، إلا أن الله تعالى خلق الخير والشر، وجعله في كونه لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسناً. [راجع: الملا علي بن سلطان محمد القاري (ت1014هـ/1605م)، شرح الفقه الأكبر، تحقيق: مروان الشعار، بيروت، دار النفائس، 1417هـ/1997م (ط1)، ص105. وابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص240].

(157) الرازي، الأربعين في أصول الدين، ج1، ص345.

(158) انظر: أبو الطيب العظيم أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، مجلد6، ج12، ص298. والبغدادي، الفرق بين الفرق، ص18. وانظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص8.

- (159) الشيخ محمد بن أحمد أبو زهرة (1394هـ/1974م)، تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت، د.ط، ص104. وانظر: كلام ابن القيم، حاشية عون المعبود، المجلد 6، ج12، ص298.
- (160) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص38.
- (161) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص31.
- (162) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص41. والسفاري، لوامع الأنوار البهية، ج1، ص361.
- (163) انظر: السفاري، لوامع الأنوار البهية، ج1، ص307، وص310.
- (164) يراجع في توجيه حجتهم كلام: إسماعيل بن عمر، ابن كثير (ت774هـ/1373م)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، 1407هـ/1987م (ط2)، ج2، ص193، وص589. والملا علي القاري، شرح الفقه الأكبر، ص103.
- (165) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص31، وج2، ص35.
- (166) ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص9.
- (167) مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ص58.
- (168) علي القاري، شرح الفقه الأكبر، ص102.
- (169) ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص41، وانظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1، ص256.
- (170) ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص41.
- (171) انظر: السفاري، لوامع الأنوار، ج1، ص306، وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1، ص404-405.
- (172) ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص555.
- (173) علي القاري، شرح الفقه الأكبر، ص103-104، وانظر: السفاري، لوامع الأنوار، ج1، ص309-310.
- (174) انظر: ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص28.
- (175) انظر: علي القاري، شرح الفقه الأكبر، ص103.

(176) انظر: سيد قطب (ت1387هـ/1966م)، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، 1400هـ/1980م (ط9)، ج3، ص1227.

(177) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص238.

(178) الشيخ محمود شلتوت (ت1383هـ/1963م)، الإسلام عقيدة وشريعة، القاهرة، دار الشروق، 1980م (ط10)، ص51.

(179) محمد بن محمد، ابن أبي شريف القدسي (ت905هـ/1500م)، المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة، لابن الهمام محمد بن عبد الواحد الحنفي (ت861هـ/1457م)، ومعه حاشية على المسامرة، لزين الدين القاسم بن قطلوبغا (ت879هـ/1482م)، بيروت، دار الكتب العلمية، 1423هـ/2002م (ط1)، ص133.

(180) ابن أبي شريف القدسي، المسامرة شرح المسامرة، ص133. وانظر: سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، ج4، ص268. والقاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (ت415هـ/1025م)، المنية والأمل، تحقيق: عصام الدين حمد علي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1985م، د. ط، ص17-18.

(181) ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص8.

(182) لمزيد من الاطلاع يرجى مراجعة: ابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص114. وابن حجر، فتح الباري، ج13، ص556. وثنان والكيلاني، عون المريد شرح جوهرة التوحيد، ج1، ص346-347.

(183) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص34. والسفاري، لوايح الأنوار، ج1، ص156.

(184) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص446.

(185) انظر: البغدادي، أصول الدين، ص103. وإمام الحرمين: الإرشاد، ص217.

(186) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص3.

(187) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص31.

(188) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص31، وج2، ص38.

(189) انظر: علي القاري، شرح الفقه الأكبر، ص121. وسعيد حوى (ت1989م)، الأساس في السنة، القاهرة، دار السلام، 1417هـ/1996م (ط3)، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص658.

(190) خطأ المعتزلة في استدلالهم بهذه الآيات أنهم حملوها على العموم، دون أن يفرقوا بين ما هو كوني وما هو شرعي، وخلطوا بين الإرادتين وجعلوها أمراً واحداً، ثم حملوا المحبة والرضا على معنى الإرادة، وسأروا بينهما في الإطلاق، وقالوا بالتلازم بين الأمر والإرادة، ولم يفرقوا بين أمر الله الكوني وأمره الشرعي، والأولى أن تحمل هذه النصوص على أمر الله وإرادته التشريعية التي تتعلق برضاه ومحبته لما أمر عباده به، وكرهه لما نهاهم عنه شرعاً، وبذلك نتجاوز كثيراً من الإشكالات التي قد تنشأ بسبب هذا التعميم الذي وقع فيه كثير من الناس، كما وقع فيه المعتزلة.

(191) الرازي، الأربعين في أصول الدين، ج1، ص345. وانظر: القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت403هـ/1013م)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: عماد الدين حيدر، بيروت، عالم الكتب، 1407هـ/1986م (ط1)، ص228. وابن أبي شريف القدسي، المسامرة شرح المسامرة، 123.

(192) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص28-29.

(193) ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص3

(194) الدكتور محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، عمان، دار الفرقان، 1419هـ/1999م، د.ط، ص118-119.

(195) انظر: الخطابي، معالم السنن، ج4، ص297. وانظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج1، ص154. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص620.

(196) القاضي عبد الجبار، المنية والأمل، ص19. وانظر: كمال الدين حميد الطائي، رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة، بغداد، مطبعة سليمان الأعظمي، 1392هـ/1972م، ص124.

(197) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج2، ص3.